

سلسلة الفتوحات العزمية

جميع حقوق الطبع والنشر والتصوير
والاقتباس والترجمة والنقل محفوظة

(١٥)

دراسة نقدية

لتوحيد السلفية

الطبعة الأولى

شوال ١٤٢٦هـ - نوفمبر ٢٠٠٥م

رقم الإيداع

١٨٥١٦ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولي

٦-٦٧-٥٢٧٣-٩٧٧

لجنة البحوث والدراسات
بالطريقة العزمية

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
الإفتاحية	٤
الفصل الأول: الغلاة في ابن عبد الوهاب على	
خلاف ما نهى عنه	٢٢
الزيدية	٤٧
تكفير باطل	٥١
أحاديث ذم نجد بين العراق ونجد	٥٩
الفصل الثاني: قراءة في كتاب التوحيد لمحمد	
ابن عبد الوهاب	٦٧
الفصل الثالث: ركائز التوحيد في مدرسة محمد	
ابن عبد الوهاب	١٠٣
الخاتمة	١٥٨

الإفتاحية

الحمد لله الفاشى حمده، والغالب جنده، والمتعالى جده،
الذى عظم حلمه فعفا، وعدل فى كل ما قضى.
والصلاة والسلام على النور المشرق على القلوب
بحقيقة التوحيد، والسر المباشر للسريرة بكمال اليقين،
والروح الممدة لكل العوالم بالحق المبين.. سيدنا ومولانا
محمد.

اللهم صل وسلم وبارك عليه وآله صلاة تنور بها
قلوبنا باليقين، وسريرتنا بالتمكين، وأرواحنا بالبهجة
بالقرب من حضرتك العلية، والرضوان الأكبر منك يا ذا
الفضل العظيم عنا، وكمال الرضا منا عن جنابك العلى يا
ذا الكرم العميم.. أما بعد:

بعد صدور كتاب (الملحوظات على كتاب كشف
الشبهات) جاءت رسائل عديدة تشكر الأسلوب المحايد
والعقلانى فى مناقشة فكر محمد بن عبد الوهاب، وطالبت
بالمزيد من هذا النهج، فتلبية لرغبات القراء كان هذا

الكتاب الذى يدرس التوحيد عند ابن عبد الوهاب.

وبداية نود إلقاء الضوء على شخصية محمد بن عبد الوهاب، فنقول: إن محمد بن عبد الوهاب، رغم ما قيل من الكلام الكثير فيه مدحاً وقبحاً، إلا أنه من الواضح أنه كان مخلصاً لدعوته، شديد العزيمة، ولكنه استخدم السلطة فى خدمة الدعوة، فأثر هذا كثيراً على شخصيته الحدية أيضاً، فأصبح لا يقبل بأنصاف الحلول، ولا بالاعتذارات، فدفعه هذا إلى الاستعجال فى رؤية النتيجة السريعة، فاندفع للدعوة بحماس ومجازفات وإصرار، مع قلة علم وقلة ورع، وإذا اجتمعتا كان لهما الأثر الكبير على تصرفات الشخص، فيزداد حدة وغلوا فيما يطالب به وخاصة إذا توجهت له الأمور.

ومن خلال قراءة فكر ابن عبد الوهاب وجدناه ليس بذاك العالم المحقق المدقق، مع ضعف ظاهر فى الحديث والتاريخ (ومنهما يتشكل الوعي عند العالم المسلم)، ولذلك أخذ يقمش كل التشددات فى الحكم على الأمور بشرك أو بدعة، فيستشهد بمطلقات النصوص الصحيحة

وصريحات النصوص الضعيفة، وأكثر من بناء الأحكام التكفيرية الصريحة على حديث ضعيف أو أثر موضوع أو قياس فاسد مع إبهام نية وقوة عبادة وهمة تدفع الجبال، وكثيراً ما تجد منه مبالغة وتعسفاً فى تحميل الصحيح من النصوص الشرعية ما لم تحتمله من تكفير أو تبديع، وهو يركز على كلمة الشرك أكثر، ولا يراعى ضوابط التكفير، ويستشهد لآرائه بما شذ من الأقوال وعسر من الاستنباط وأفرزته اللحظة، ثم يجمع بينها للعوام التابعين أو العلماء الخاضعين، فيخيل للقارئ البسيط منهم- وهم أغلبية أتباعه- أن هذا علم عظيم، وأن العلماء فى وقتهم خانوا أمانتهم ولم يحذروهم من الشرك، وأن الناس قد عادوا لجاهليتهم الأولى، وأنه لافرق يومئذ بين المصلين الصائمين وبين من يعبد اللات والعزى، فانطلقوا معه لا يلتفتون إلى غيره، لأنه قد حذرهم من العلماء والعوام على حد سواء، فزعم أن العلماء كعلماء بنى إسرائيل (أصبحوا أحياناً ورهباناً اتخذهم الناس أرباباً)، فتبعه البدو وأعملوا سيوفهم فى الدماء مع طمع، وألسنتهم فى

التكفير مع لكمة! وساعدتهم الظروف واتجه لهم الزمان، من ضعف الدولة العثمانية وتفرق الأمراء بنجد، واستخفاف المجاور القوى، إذ ظنهم سحابة صيف تتفشع عن قريب، وثورة أعراب محصورة، فى وسط نجد القاحلة، إلى أن تمكنوا من الاستيلاء على نجد كلها، وصاغوا الناس بعقيدتهم فى كل بلدة تتبعهم، ثم انتشروا يعتدون على بلاد المسلمين حولهم شرقاً وغرباً، وكان من المفترض أنه بعد أن هدأت الأمور وتشكل الكيان السياسى أن تتم مراجعة الماضى والتخلى عن الغلو ونصر الاعتدال، فالهدف قد تحقق والحجة قد بلغت، لكن الغلو استمر، وانصرفت الهمة إلى نشر هذا الفكر والتخندق حوله، ومواصلة ذم ما يخالفه من قراءات واجتهادات، بل تم تدعيم التباهى به والتزهيد فى غيره، وفتح مراكز فى شرق الأرض وغربها، تنددن حول تقسيم المسلمين لمشرك وموحد، إلى أن بدأ الانقسام بين السلطة والدعوة، إذ وجد الوهابية (الأصليون= المطردون مع الثورة والتكفير الوهابى والسلفى) أن ما يكفرون به المسلمين من

دقائق الأمور موجود بأضعاف بين أظهرهم، داخل السلطة التى يعتبرونها سلفية، فكفروها، ويظهر لنا أن الدولة السعودية كانت مطمئنة لنظرية سلفية أخرى (وهى الطاعة وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك)! ولم تنتبه الدولة إلى أن السلفية (سلفيات) والوهابية (وهابيات)، والخير كل الخير فى العدل والاعتدال، فلا تحكم فئة على جميع الفئات والمذاهب، كان من المفترض أن يتم الاعتراف بالمذاهب والطوائف والتيارات السلمية، وعدم إرضاء الأقلية على حساب هضم الأغلبية.

إنّ فهناك سلفية طاعة ووهابية ثورة، والطاعة تغلب فى السلفية، كما أن الثورة تغلب فى الوهابية، ويلتقيان فى التكفير والإقصاء وعدم الاعتراف بالآخر، ومع الأيام خرج من تحت عباءة الوهابية (الإخوان) أصحاب الدويش، ثم خرج من عباءة السلفية (جماعة جهيمان) ثم خرج من الفئتين (أصحاب العنف والتكفير الحاليين) فظهر للدولة أن الأمور معقدة ومتشابكة وليست كما يشرحه (وهابيو البلاط) من أن الخير كل الخير فى

نعم للاستقلالية والحرية والصدق في القول ونصرة المعرفة والعلم وحفظ الحقوق والمطالبة بها، واحترام الإنسان والغوص المعرفي، والتشابك مع العالم فيما يعود بالنفع، والتخلي عن القراءة الساذجة لهذا الدين العظيم.

لكن لا وألف لا، لسفك الدماء والعنف والظلم وضيق الأفق وضياح الحقوق والغلو في الدين، خاصة وأن الثائر لا يملك مشروعاً سياسياً عادلاً، وإنما اضطهاد مضاعف، وما نموذج (طالبان) منا ببعيد، وفي الحالتين، يظهر أن الدولة السعودية رأت الاستفادة من السلبية السلفية داخلياً إلى سلفية إيجابية خارجياً، فكان هذا صواباً سياسياً على المستوى التكتيكي، وخطأً شرعياً على المستوى الاستراتيجي.

واليوم بعد أن تكشف للدولة ما لم يكن من قبل، فهي مطالبة بالتحديث الثقافي أولاً، فالمعلومة والمعرفة يجب أن تكون هدفاً في حد ذاتها، دون سؤال: ماذا سنستفيد من هذه المعرفة أو هذه المعلومة.

المعرفة لا تخون، وإن أحرزتك ساعة أفرحتك دهرأً،

(السلفية والوهابية)، فكان هذا التطمين غير صحيح، لأن من راجع التكفير السلفي وضخامته وتشعبه وتفرعه عرف بيقين أنه متى ما احتاج السلفي للتكفير - في أي زمان ومكان - كان هذا أسهل عليه من بلع ريقه وأقرب إليه من حبل وريده! والوهابي أبلغ.

وهؤلاء المكفرون رغم خطئهم الفادح لكنهم مطردون مع التكفير السلفي للمسلمين ومع الثورة الوهابية ضد المشركين والكفار في جزيرة العرب!

لكن رأى بعض الوهابيين - بعلم أو بجهل - أن المصلحة تقتضي التخلي عن أكثر ما قرره ابن عبد الوهاب (من تكفير وثورة) والتمشي مع الشق المسالم للسلطان من النظرية السلفية السلبية التي بدأت من مقولة (نحن مع من غلب)، فاصطدم الشقان (المسالم والتكفيرى) عند أبواب السلطة، هذه تريد الخروج بلا عودة، وهذه تريد الدخول بلا رجعة، هذا (سلفى) يقلد السلفية المدمرة تكفيراً وفتالاً، وهذا (سلفى) اختار سلفية الطاعة العمياء، وكلا المنهجين بين تكفير وسلبية.

وهي أساس التنمية والحضارة، وهو الضمان الاستراتيجي للاستقرار والنمو والتقدم، فالمعرفة سلطة على العقول والقلوب والتصرفات.

والسلفية والوهابية وكل المذاهب التي لا تقبل الآخر تسهم في ظلم المعرفة، ومحاربتها، وحرمان الناس منها، ولذلك نجد أن ما يحدث من تعليم في السعودية يصب كثير منه في التجهيل للأسف، وكانت آخر نتائجه هو هذا العنف الأعمى، وهذا طبيعي، فلا نطمع من تيارات الغلو أن يعرفوا حقوق غير المسلمين، إذا كانوا يجهلون حقوق المسلمين، لا نطمع معهم في العدل مع كافر مسالم إذا كان التعليم العام والجامعي والخطب والمواعظ والمؤلفات والفتاوى تدور حول وجوب إهدار حقوق المسلمين، فإذا استمر هذا التجهيل عقوداً فلا نظن أنه سيزول بفتوى نستخرجها من بين كل هذا الركام المتكدس عبر القرون.

مصطلح الوهابية

مع أن كلمة (الوهابية) ليست صفة ذم ولا مدح،

فليست ذماً حتى لو اعترفت الوهابية أنها مذهب، فالمذهب الذي يعتمد على أدلة صحيحة لن يضره الاسم الجديد ولا تسمية الناس له، وليس من شرط المذهب أن يكون في القرون الثلاثة الأولى، كما أن التيار أو المذهب الذي يبني فكره وعمله على أدلة ضعيفة؛ لن ينفعه التسمية بأحسن الأسماء ولو كان في القرن الأول، فالعبرة بصحة العلم وصفاء الإيمان وحسن العمل وليس بالتسمي ولا بالتمنى.

ونعجب ممن يكرر من المقلدين بأن لفظة (الوهابية) إنما أطلقها الخصوم، ويدندون حول اللقب والتسمية مع أن اللفظة أو التسمية خارج النزاع.. هذا أمر.

أما الأمر الثاني: فقد كان علماء الدعوة الوهابية يجيزون استخدام (الوهابية) ويرددونها في كتبهم دون خوف من اتهام بمذهب، بل ربما ألفوا الكتب والرسائل في عقائد الوهابية ودعوتهم ولا ضير في ذلك.

ومن علماء الدعوة الوهابية الذين استخدموا مصطلح (الوهابية) سليمان بن سحمان، وقبله محمد بن عبد اللطيف (الدرر السنية ٤٣٣/٨) وغيرهما، وكذا المدافعون

عنها، ومنهم: حامد الفقى مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر، ومحمد رشيد رضا وعبد الله القصيمي وسليمان الدخيل وأحمد بن حجر أبو طامى ومسعود الندوى وإبراهيم بن عبيد صاحب التذكرة وغيرهم، يستخدمونها، مع أن حامد الفقى قد حاول أن يشكك فى نيات كل من استخدم هذا المصطلح واقترح أن يطلق عليها (الدعوة المحمدية) لأنها تنسب إلى محمد بن عبد الوهاب! وليس إلى والده (عبد الوهاب) وقد قلده من المتأخرين صالح الفوزان فى إنكاره على أبى زهرة وغيره، ومطالبة الفقى والفوزان بأن نطلق على الوهابية (الدعوة المحمدية لا الوهابية) لأن الشيخ اسمه (محمد) هذا اقتراح منهما غريب عجيب، لسبب يسير وهو: أن أغلب المذاهب المشهورة لا تسمى بأسماء أصحابها، وإنما تسمى بأسماء آباء أو أجداد أصحاب المذهب، فالمذهب الحنبلى مثلاً نسبة لحنبل وحنبل هذا هو جد أحمد بن حنبل (اسمه أحمد بن محمد بن حنبل)، والفوزان أو الفقى ومن تابعهما لا يعترضون على تسمية (الحنابلة) بهذا

الاسم، ولا يطلقون على المذهب الحنبلى (المذهب الأحمدي)!، وكذلك المذهب الشافعى نسبة لشافع (وشافع هذا جد الشافعى الرابع فالشافعى اسمه: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع)، فلماذا لا يطلقون على المذهب الشافعى (المذهب المحمدي)! وكذلك الحنفية نسبة لأبى حنيفة، وحنيفة ليس اسم صاحب المذهب، وإنما اسمه النعمان بن ثابت، وكذلك الأشاعرة المنتسبين لأبى الحسن الأشعرى، فالأشعر جد قديم لقبيلة الأشاعرة كلهم الذين منهم أبو الحسن، فهو: الأشعر بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، فهذا جد قبيلة الأشاعرة، الذى بينه وبين أبى الحسن الأشعرى صاحب المذهب عشرات الآباء.. وكذلك (الإباضية) نسبة لعبد الله بن إباض، ... وهكذا لا تكاد تجد مذهباً يسمى باسم صاحبه إلا فى النادر، كالمالكية نسبة لـ(مالك بن أنس) والزيدية لسيدنا (زيد بن على) والجعفرية لسيدنا (جعفر الصادق)، فالذى يطلق الوهابية على مذهب محمد بن عبد الوهاب ليس أبعد عن الصواب ممن يطلق

- ٤- والشيخ تقي الدين الحصني الدمشقي الشافعي (١١٢٨هـ).
- ٥- والشيخ عبد الله سالم البصري ثم المكي (١١٣٤هـ).
- ٦- وشيخ الجامع الأزهر إبراهيم الفيومي (١١٣٧هـ).
- ٧- والمحدث أحمد بن القاسم البوني التميمي (١١٣٩هـ).
- ٨- وعلى بن مراد العمرى مفتى الموصل (١١٤٧هـ).
- ٩- ويهبي بن عمر الأهدل الزبيدي (١١٤٧هـ).
- ١٠- والعجلوني الكبير من فقهاء المحدثين بدمشق (١١٤٨هـ).
- ١١- والشيخ عبد الغنى البرهاني شارح البيقونية (١١٥١هـ).
- ١٢- والشيخ أحمد السملالي المغربي (١١٥٢هـ).
- ١٣- ويوسف الحسيني مفتى الحنفية بحلب

الحنابلة على أتباع أحمد بن محمد بن حنبل، فضلاً عن غيره.

ثم صالح الفوزان مثلاً يطلق على أتباع محمد بن سرور بن نايف زين العابدين كلمة (السرورية) فلماذا لا يسميها (المحمدية) أيضاً! ونحن نسمع بين أدياء السلفية اليوم ألقاباً يتنازرون بها كالجامين والمدخلين والبازيين والألبانيين والقطبيين والبنائيين... إلخ.

من العلماء المعاصرين لمحمد بن عبد الوهاب؟

- ومن أشهر معاصريه من العلماء والمصلحين:
- ١- الحسين بن محمد المغربي الصنعاني (١١١٩هـ)، صاحب (بدر التمام) وعليه اعتمد ابن الأمير في كتابه المشهور سبل السلام.
- ٢- والحسيني الدمشقي (١١٢٠هـ) صاحب كتاب أسباب ورود الحديث.
- ٣- وأبو المواهب الدمشقي مفتى الحنابلة (١١٢٦هـ).

- ٢٤- وحامد العمادى مفتى دمشق وابن مفتيها
(١١٧١هـ).
- ٢٥- وعبد الله الشبراوى شيخ الأزهر (١١٧١هـ).
- ٢٦- وإسحاق المتوكل اليماني (١١٧٣هـ).
- ٢٧- وعبد المنعم القلعي مفتى مكة (١١٧٤هـ).
- ٢٨- ومحمد سعيد سنبل الشافعي المكي (١١٧٥هـ).
- ٢٩- وأحمد بن عبد العزيز الهلالي (١١٧٥هـ).
- ٣٠- وشاه ولي الله الدهلوى من أكبر المجددين فى
الهند (١١٧٦هـ).
- ٣١- والبرزنجى مفتى الشافعية بالمدينة (١١٧٧هـ).
- ٣٢- وعبد الكريم الشراياتى محدث حلب
(١١٧٨هـ).
- ٣٣- وأحمد بن محمد الوردازى حبر تطوان
(١١٧٩هـ).
- ٣٤- وعبد الرحمن بن إدريس الحسنى شيخ المغرب
(١١٧٩هـ).
- ٣٥- وعبد المحسن بن أسعد الأسعد مفتى المدينة

- (١١٥٣هـ).
- ١٤- والشيخ عبد المعطى الخليلى مفتى الشافعية
بالقدس (١١٥٤هـ).
- ١٥- والشيخ المجتهد أحمد اللمطى (١١٥٧هـ).
- ١٦- والتهانوى الهندى صاحب اصطلاحات الفنون
(١١٥٨هـ).
- ١٧- والمنصور الحسين بن القاسم اليماني
(١١٦١هـ).
- ١٨- والعجلونى من أهل الحديث، صاحب كشف
الغطا (١١٦٢هـ).
- ١٩- والشيخ محمد حياة السندى من علماء المدينة
(١١٦٣هـ).
- ٢٠- ومحمد بن عبد الرحمن الغزى مفتى الشافعية
بدمشق (١١٦٧هـ).
- ٢١- وسالم النفراوى (١١٦٨هـ).
- ٢٢- وإبراهيم الويدانى مفتى النوازل (١١٦٨هـ).
- ٢٣- وسليمان المنصورى الحنفى (١١٦٩هـ).

١١٨٣هـ).

٣٦- وعلى بن محمد المرادى أحد علماء عصره بدمشق (١١٨٣هـ).

٣٧- وعبد المحسن بن علي الأشيقرى تولى الإفتاء فى الزبير (١١٨٧هـ).

٣٨- وحمد بن أحمد السفاريني صاحب المنظومة فى العقيدة (١١٨٨هـ).

٣٩- وأحمد بن يوسف الحديث اليماني (١١٩١هـ).

٤٠- ومحمد التافلاتي مفتى الحنفية بالقدس (١١٩١هـ).

٤١- ومحمد بن سليمان الكردي مفتى الشافعية بالحجاز (١١٩٤هـ).

٤٢- وسليمان الأهدل محدث اليمن (١١٩٧هـ).

٤٣- وعلى بن محمد الشرواني رئيس علماء الحنفية بالمدينة (١٢٠٠هـ).

٤٤- وعبد السلام الداغستاني (١٢٠١هـ).

٤٥- وعبد الوهاب الأحسائي الحنبلي (١٢٠٥هـ).

٤٦- والزبيدي صاحب تاج العروس (١٢٠٥هـ).

٤٧- والمرادى مفتى الشام صاحب سلك الدرر (١٢٠٦هـ).

٤٨- وعبد القادر الكوكباني الزيدى المحدث شيخ الشوكاني (١٢٠٧هـ).

٤٩- وسليمان بن عبد الوهاب أخو محمد بن عبد الوهاب فى حريملاء.

٥٠- وعبد الله بن سحيم فى الرياض.

٥١- وأخوه سليمان بن سحيم.

وغيرهم كثيراً جداً- وقد سبق بعض العلماء من معارضى ابن عبد الوهاب لم نذكرهم هنا- وقد تركنا العشرات من العلماء المعاصرين له، بل هناك كتب مؤلفة فى تراجم علماء القرن الثانى عشر أشهرها (سلك الدرر فى تراجم علماء القرن الثانى عشر)، وهذا دليل على أن الوضع فى العالم الإسلامى ليس ممعناً فى الجهل فضلاً عن الشرك الأكبر! كما يتصوره البعض بناء على ما كتبه بعض علماء الدعوة الوهابية ومؤرخيها، كما أنه ليس من

الفصل الأول

الغلاة فى ابن عبد الوهاب

على خلاف ما نهى عنه

ومن دلائل ذلك أن معظم ما نهى عنه ابن عبد الوهاب فى كتبه- وأشهرها الغلو فى الصالحين- قد تحققت فى أتباعه بغلوهم فى شيخهم غلواً عظيماً، كما أنهم لم يستفيدوا من التقارير التى كتبها فى النهى عن التقليد والإعراض عن الحق، فكان تعصبهم لشيخهم خالياً من أكثر ما ينهى عنه، ولعلنا نأخذ نموذجاً من ذلك وهى تلك (المسائل الجاهلية) التى ذكر محمد بن عبد الوهاب أن النبى ﷺ جاء وأبطلها، وكانت من الأسباب الرئيسة فى عدم قبول كفار قريش للحق، وتلك الخصال نراها اليوم بوضوح فى الغلاة من أتباع ابن عبد الوهاب ومنها- مع اختصار وتصرف:-

١- قول ابن عبد الوهاب: إن دينهم- يعنى أهل الجاهلية- مبنى على أصول أعظمها التقليد!! فهو القاعدة

العدل أن نهمل كل جهود هؤلاء أو نزدريهم، وللأسف أن هؤلاء على مقتضى كلام غلاة الوهابية مشركون شركاً أكبر! وكأن الإسلام كان قد انطفأ حتى بعثه ابن عبد الوهاب مجدداً، وهذا خلاف الواقع، لكنه ظن كثير من أتباع ابن عبد الوهاب للأسف.

وهذا السلوك من المتعصبين والمغالين هو السبب فيما وصلت إليه الأمة من هوان، فنسأل الله أن يجمع أمرنا، ويهدى ضالنا، ويوفقنا لما يحب ويرضى.

لجنة البحوث والدراسات

بالطريقة العزمية

الكبرى لجميع الكفار أولهم وآخرهم...

قلنا: والتقليد في غلاة الوهابية أظهر من أن تمثل له وخاصة في العقائد، فهم ينزلون أقوال العلماء في العقائد منزلة النصوص الشرعية تماماً إن لم يكن أعظم، ويكفي أحدهم في الاستدلال أن يقول: قال الإمام أحمد... أو قال شيخ الإسلام ابن تيمية... أو قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب... وكأنه يستدل بنص شرعي قطعى الدلالة والثبوت! وهذا خلل كبير جداً لا نرى من يهتم به إلا القليل جداً من العلماء قديماً وحديثاً فضلاً عن غيرهم، بل حتى المنكرين على أهل التقليد إنما ينكرون عليهم التقليد الفقهي ويتجنبون إنكار التقليد العقدي وهو أكثر فتكاً في الأمة من التقليد الفقهي، لأن المنقذين يقبلون التعايش مع بعضهم، أما المقلدون في العقائد فهم يرثون أقوالاً في تكفير من لم ير هذا الرأي أو رأى ذلك، ويورثونها لمن بعدهم

٢- قول ابن عبد الوهاب: ومن أكبر قواعدهم- يعنى أهل الجاهلية- الاغترار بالأكثر! ويحتجون به على صحة

الشيء، ويستدلون على بطلان الشيء بغريته وقلّة أهله!.

قلنا: وهذا ظاهر في كثير من غلاة الوهابية من مقلدى ابن عبد الوهاب ومن السلفيين عند قوتهم وكثرتهم، وإن شعروا بالضعف والقلّة جأروا (طوبى للغرباء)!

٣- وذكر منها ابن عبد الوهاب: الاحتجاج بالمتقدمين كقوله تعالى- حاكياً حجة فرعون-: ﴿فما بال القرون الأولى﴾!؟

قلنا: وهذا في غلاة السلفية أيضاً مثل قول بعضهم- عندما ترشدكم لبعض أخطائهم-: (من سبقك إلى هذا؟!!) بينما لا يسألون عن من سبقهم إلى أخطائهم.

٤- وذكر منها ابن عبد الوهاب: الاستدلال بقوم أعطوا قوى في الأفهام والأعمال.

قلنا: وكذا بعض مقلدى ابن تيمية مثلاً عندما يقولون: من أنت حتى تستدرك على ابن تيمية! وهو صاحب الذكاء والمنطق والفلسفة وكذا وكذا..إلخ.

٥- وذكر منها ابن عبد الوهاب: الاستدلال على بطلان الشيء بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء!

قلنا: وهذا يفعله بعض المغالين اليوم عندما يقولون: ما يتبع هؤلاء إلا القلة ممن لا وزن لهم ولا شهادات ولا مناصب..، وكذلك لما تحدثهم عن أحد العلماء أو الباحثين، يبادرونك: بأنه لا يعرفه أحد ولم يذكره العلماء بخير!

٦- وذكر منها ابن عبد الوهاب: الغلو فى العلماء والصالحين.

قلنا: وهذا أمثلته كثيرة، ولو يقرأ المنصف ما يكتبه الغلاة عن الإمام أحمد وابن تيمية وابن عبد الوهاب، لتخيل أنهم يتحدثون عن مخلوقات خارقة ليست من الجن ولا الإنس ولا الملائكة، فهذا يعلم تنزل الأمر بين طبقات السماء والأرض، وهذا ينتهر منكر ونكير، وهذا يخبر بمسير التتار قبل أن يتحركوا من مواطنهم.. ثم بعد هذا نجد هؤلاء الغلاة الذين يقبلون هذه الخزعبلات من أشد الناس ذماً للغلو وأهله.

٧- وذكر منها ابن عبد الوهاب: اتباع الهوى والظن والإعراض عما أتاهم الله.

قلنا: وهذا ما يفعله بعض غلاة الوهابية اليوم عندما تأتيه بالدليل الشرعى فيجيبك بأن ابن تيمية أو ابن القيم يرى كذا وكذا.. وأن العلماء يقولون كذا..، ولو أن قائل هذه الأقوال من العوام لهان الأمر، لكن نجد الوصية بالعلماء المقلدين بين طلبة علم متمكنين هم أول من يعلم أن الأفضل من العلماء يتبع للأقل علماً والأكثر تعصباً، وإلا فنحن نعرف أن فى المملكة العربية السعودية مثلاً علماء بحق لكن لا صوت لهم، وهم تابعون خاضعون لعلماء آخرين لاحظ لهم فى تحقيق ولا إنصاف، وهنا يكون قبض العلم عندما يتخذ الناس رؤساء جهالاً فيضلون ويضلون..

٨- وذكر منها ابن عبد الوهاب: اعتذارهم عن اتباع ما أتاهم الله بعدم الفهم ﴿وقالوا قلوبنا غلف﴾؟

قلنا: وهذا رأينا من بعضهم عندما تحاورنا بخصوص قولهم: إن زيارة البقيع سنة وزيارة النبی غیر واجبة، فقال: اعتبرنا أغبياء لا نفهم!.

٩- وذكر منها ابن عبد الوهاب: نسبة باطلهم إلى

الأنبياء.

قلنا: وهذا في غلاة السلفية والوهابية، ينسبون التكفير لله ورسوله.

١٠- وذكر منها ابن عبد الوهاب: تناقضهم في الانتساب، فيدعون الانتساب إلى النبي ﷺ ويتركون اتباعه؟!.

قلنا: وهذا أيضا في بعض غلاة الوهابية عندما تقول له: إن النبي ﷺ قال كذا، فيتعدرون بأن بعض الفقهاء قال كذا، وأنهم أكثر فهما للحديث منا! بينما إن كان الموضوع في صالحهم تراهم يجأرون بقول مالك: (كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر)!.

١١- وذكر منها ابن عبد الوهاب: قدحهم في بعض الصالحين بفعل بعض المنتسبين.

قلنا: وهذا في بعض غلاة الوهابية كقدحهم في الصوفية بفعل البعض، وقدحهم في الشيعة بفعل البعض، بل قبل ذلك قدحهم في الإمام علي أو الإمام جعفر الصادق بفعل بعض الشيعة، حتى أن رجلا من غلاة

السلفية يزعم بأن الإمام عليا قاتل للرياسة لا للديانة! ويصرح آخر بأن الإمام جعفر الصادق ماسوني كذاب!. ونقول هنا: لا يجوز أن تتهم الوهابية أهل البيت بالباطل ونترك الشيعة فقط ليدافعوا عنهم! فالصادق مثلا حاشا لله أن يكون ماسونيا أو كاذبا كما يزعم الجبهان، فالغريب في أبواق الوهابية سكوتهم المطبق في الرد على هؤلاء، بينما نشاطهم وحماسهم لا يبارى في الرد على من خطأ ابن تيمية أو البربهاري أو محمد بن عبد الوهاب، وهذا تناقض في المواقف ودليل على تأثرهم بردة الفعل، أو خشيتهم من اتهام البشر وأمنهم من اتهام رب البشر.

١٢- وذكر منها ابن عبد الوهاب: أن الحياة الدنيا غرتهم فظنوا أن عطاء الله منها يدل على رضاه!! نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمسبوقين!؟.

قلنا: وهذا أيضا في بعض غلاة الوهابية عندما يحتجون على من خالفهم بقولهم: ألا ترى أن الله أنعم علينا بالمال والمنصب- وخصوصا بعد ظهور البترول-

.. وإلخ، وإذا أصاب غيرهم المنصب والمال قالوا: (هذه الديننا أعطاهم الله إياها لتكون عليهم حسرة يوم القيامة)! وهذا شائع في جميع الغلاة، فإذا أصابهم مكروه قالوا: هذا ابتلاء! (فإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم)! وإذا أصاب خصومهم مكروه، قالوا: (هذه عقوبة الله وما ينتظره أعظم) وهذا كله من التآلى على الله، فلا أحد يعرف سر هذا المكروه أو هذه النعمة إلا هو أو من عرّفه الله، والواجب على المسلم إن أصابته سراء أو أصابت خصمه المسلم أن لا يجزم بشئ من هذا أو هذا، وإنما يرجو لنفسه ويخشى عليها، وكذا يرجو للمسلمين ويخشى عليهم ولو كانوا من ألد خصومه.

١٣- وذكر منها ابن عبد الوهاب: ترك الدخول في الحق إذا سبقهم إليه الضعفاء تكبراً أو أنفة!.
قلنا: وهذا سيق التمثيل عليه.

١٤- وذكر منها ابن عبد الوهاب: الاستدلال على بطلان الحق بسبق الضعفاء كحال المشركين الذين قالوا: (لو كان خيراً ما سبقونا إليه).

قلنا: وقد سبق شئ من هذا.

١٥- وذكر منها ابن عبد الوهاب: أنهم لا يعقلون من الحق إلا الذي مع طائفهم!

قلنا: وهذا في غلاة الوهابية من أوضح الأمور، عندما تأتيهم بدليل فيقولون: هذا لم نسمع به من مشايخنا وليس موجوداً في مصادرنا، مع أن الحق لا يشترط أن يكون كله مذكوراً عندهم، وقديماً حارب الغلاة العلوم المفيدة من هذا الباب كفضل المنطق مثلاً.

١٦- وذكر منها ابن عبد الوهاب: أنهم مع ذلك لا يعملون بما تقوله طائفهم!.

قلنا: وهذا أيضاً في غلاة الوهابية، فهم لا يعرفون أن ابن تيمية لا يكفر الجهمية ولا الرافضة! وأنه لا يجوز أن يجزم الشخص بأن الطائفة الفلانية ناجية والطائفة الفلانية هالكة لأن هذا من التآلى على الله، ولا يعرف بعضهم أن بعض متقدمى الحنابلة كانوا يكفرون أبا حنيفة! وأن أحمد ابن حنبل لم يكن يكفر بالتبرك بروضة النبي ﷺ ومنبره.

١٧- وذكر منها ابن عبد الوهاب: كفرهم بالحق إذا

كان مع من لا يهوونه!.

قلنا: وهذا ظاهر في بعض غلاة الوهابية تجدهم يردون عليك الحق إذا قال به فلان، فإذا علموا أن فلاناً- ممن يحبونه- قد قال بهذا القول سهل عليهم الأمر وصوبوه وهدأت نفوسهم.

١٨- وذكر منها ابن عبد الوهاب: إنكارهم ما أقروا أنه من دينهم.

قلنا: وهذا كإنكار بعض غلاة الوهابية أن من ديننا ذم الظلم والبغى وأنه لا حجة إلا في قول الله ورسوله، وأن منهج الجرح والتعديل يكشف أن في مصادرنا في العقيدة أحاديث موضوعة وهكذا.. إلخ..

١٩- وذكر منها ابن عبد الوهاب: أن كل فرقة تدعى أنها الناجية فأكذبهم الله بقوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

قلنا: وهذا واضح في جزم غلاة الوهابية بأنهم هم الناجون فقط وغيرهم من الفرق الإسلامية ممن لا يتابعهم - على ما يرون- هالكون وفي النار! لكن البعض

يستدرك بأن غيرهم من المسلمين (الهالكين عندهم) يمكن أن يخرجوا من النار بالشفاعة لكنه يبقى احتمالاً ضعيفاً!!.

٢٠- وذكر منها ابن عبد الوهاب: التعبد بتحريم الحلال!..

قلنا: وكم من حلال يحرمه غلاة الوهابية، وقد سبق أنه وصل تحريمهم إلى تحريم التعليم في وقت من الأوقات، ولولا فرض السلطة لكثير من الحلال بالقوة لما استطاع أحد أن يقنعهم ولو جاء بأوضح الأدلة الشرعية، فهم لا يقنعون إلا بما قالت طائفتهم.

٢١- وذكر منها ابن عبد الوهاب: التعبد باتخاذ الأبحار والرهبان أرباباً من دون الله!؟

قلنا: هذا كلام ابن عبد الوهاب كان يرد به على من يرى أنهم مقلدون يردون الحق الذي جاء به ابن عبد الوهاب بذكر فقهاء آخرين قالوا بخلافه، ورغم أن عبارة ابن عبد الوهاب فيها قسوة، لكن ألا ترون أن الحالة التي يشكو منها ابن عبد الوهاب، قد عادت، ففي هذه المرة هم

الذين يقلدون ويأبون المراجعة.

٢٢- وذكر منها ابن عبد الوهاب: معارضة شرع الله بقدره!.

قلنا: هذا في غلاة الوهابية، فهم يقولون سلط الله الحجاج على أهل العراق ، ولا يقولون سلط الله محمد على باشا على الوهابية، ولا يقولون سلط الله أمريكا على طالبان.. فيحتجون بالقدر فيما يحبون من مصائب الآخرين، وينفونه في ما يكرهون من مصائبهم.

٢٣- وذكر منها ابن عبد الوهاب: التعصب للمذهب.

قلنا: الأمثلة واضحة.

٢٤- وذكر منها ابن عبد الوهاب: تحريف الكلم عن مواضعه.

قلنا: هذا من أوضح الأمور في غلاة الوهابية، فتحريفهم الكلم عن مواضعه لا نجد له مثيلا في طائفة من الطوائف أو منافسا.

٢٥- وذكر منها ابن عبد الوهاب: تلقيب المخالفين بألقاب باطلة.

قلنا: وهذا أيضا في غلاة الوهابية من أظهر الأمور، كوصفهم كل من دافع عن الإمام على من مظالمهم أو ذم البغي بالتنشيع والرفض، ووصفهم من نفى التجسيم والتشبيه بالجهمية، ووصفهم من نقد منهج الوهابية في التكفير بالإرجاء والقبورية.

٢٦- وذكر منها ابن عبد الوهاب: التكذيب بالحق.

قلنا: وهذا ظاهر في غلاة الوهابية من تكذيبهم كل حق يقوله مخالفوهم ومكابرتهم في عدم قبوله.

٢٧- وذكر منها ابن عبد الوهاب: افتراء الكذب على الله.

قلنا: مثل قول بعض غلاة الوهابية في الماضي والحاضر بأن الله أتى على كل من رأى النبي ﷺ، وأن الله وعدهم كلهم بالجنة! مع أن فيهم من ارتد وناقض وأساء السيرة، وقد ثبت أن هذا القول قول على الله بغير علم، واعتساف في تأويل الآيات الكريمة التي لم تنزل إلا في فضل المهاجرين والأنصار ومن في حكمهم ثم من أحسن العمل يدخل في التابعين بإحسان.

٢٨- وذكر منها ابن عبد الوهاب: كونهم إذا غلبوا بالحجة فزعوا إلى الشكوى للملوك كما قال: ﴿أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض﴾؟!.

قلنا: وهذا في غلاة الوهابية ظاهر جدا، فهم يستعينون بالسلطة عند ضعف الحجة لكبت خصومهم ومنعهم من النشر، ومنع كتبهم من الدخول، ومنعهم من السفر، وربما طالبوا بالتصفية الجسدية لبعض مخالفيهم لمنع الفساد في الأرض! وحماية الناشئة!.

٢٩- وذكر منها ابن عبد الوهاب: رميهم الصالحين بانتقاص دين الملك.

قلنا: كقول بعض غلاة الوهابية بأن من خالف العقيدة السلفية فإن قلبه معقود على الخروج على ولي الأمر! وهذا ليس بلازم فقد خرج قوم من جميع الطوائف بما فيهم الحنابلة قديما.. وحديثا الوهابية، فالمسألة لا يجوز فيها المزايدة، ونحن قد نبهنا على هذا الكلام قبل أحداث العنف والتكفير الأخيرة في المملكة، وكانت وقتها المملكة من أهدأ الدول وأبعدها عن العنف، لكننا كنا نعرف أن

المنهج السلفي الحنبلي والوهابي منهج يحمل في داخله التنكك، لأنه يدعو لكرهية المسلم لأدنى مخالفة، فكيف بما يرونه من كفر الحكام والحكومات؟ من رأى تكفير مثل الإمام أبي حنيفة والعلامة ابن فيروز فلا نستغرب منه تكفير فلان وفلان..

٣٠- وذكر منها ابن عبد الوهاب: رميهم إياهم بتبديل الدين..

قلنا: وهذا واضح في ردود غلاة الوهابية، فكل ردودهم على مخالفيهم من المسلمين يرمونهم فيها بتبديل الدين.

٣١- وذكر منها ابن عبد الوهاب: تركهم الواجب ورعاً!.

قلنا: كترك بعض غلاة الوهابية تصويب الإمام على ورعاً!، وتركهم ذم الظالمين ورعاً!! وتركهم الحكم للمسلمين- سواهم- بالنجاة ورعاً!.

٣٢- وذكر منها ابن عبد الوهاب: تعبدتهم بترك الطيبات من الرزق.

قلنا: سبق هذا.

٣٣- وذكر منها ابن عبد الوهاب: دعاؤهم الناس إلى الضلال بغير علم.

قلنا: هذا في غلاة الوهابية ظاهر، كدعوتهم للتكفير والتبديع بغير علم، مع جهلهم بضوابط التكفير ومثله التبديع، واليوم أحسن - إلى حد ما- وهايبو البلاط في مراعاة ضوابط التكفير وموانعه، لأن السلطة أرادت منهم ذلك، وحسنا فعلت وفعلوا، ويكون الأجر على قدر النية، لكن على السلطة أن تكمل شيئاً لله، وهو أن يطلبوا من العلماء مراعاة ضوابط التبديع أيضاً، لأن الغلاة - وفي العلماء غلاة- ييغضون من يظنون أنه مبتدع أكثر من بغضهم لليهود والنصارى، وفتاواهم لا تحصر في ذم وبغض المبتدعة، وهم عندهم كل من سواهم، واليوم قد حصل الكفار على حقوقهم في فتاوى الغلاة ومحاضراتهم وندواتهم وخطبهم وهذا شئ حسن، ولكن بقيت حقوق المسلمين، فالواجب على الدولة أن تدعوا العلماء على مراعاة ضوابط التبديع، ومثلما هناك موانع من الجهل

والتأويل في مسألة الكفر، فالموانع نفسها يجب أن تكون في مسألة البدعة، علماً بأنه لا يوجد مسلماً غالباً إلا وفيه خليط من بدعة وسنة، وهذا ما قرره ابن تيمية نفسه.

٣٤- وذكر منها ابن عبد الوهاب: دعواهم محبة الله مع تركهم شرعه.

قلنا: من شرع الله ألا تكفر مسلماً، ولا تغتاب، ولا تتكبر، ولا تكذب على الناس، ولا تستحل أعراض المسلمين، ولا تفتخر بنسب أو بمنطقة.. وهذا للأسف في غلاة الوهابية.

٣٥- وذكر منها ابن عبد الوهاب: المكر الكبار.

قلنا: وهذا يفعله غلاة الوهابية كثيراً، وخاصة في المواطن البعيدة عن رقابة السلطة، وخاصة في الجامعات الإسلامية فمكرهم كبار في كبار! يمكرون ببعض التلاميذ السذج ويطلبون منهم مذكراتهم ليستفيدوا منها! ثم يعطونها لثلاثة! ثم يفصل الطالب المسكين! بعد حرمانه في ثلاث مواد!.

هكذا مكر بسلاسة؟!..!

٣٦- وذكر منها ابن عبد الوهاب: أن أئمتهم إما عالم فاجر أو عابد جاهل.

قلنا: قول ابن عبد الوهاب السابق فيه قصر حاد لا نرتضيه، لكن نرى غلاة الوهابية يلجئون لبعض الشيوخ ممن لا يخشى الله في الآخرين، أو ممن لا يفهم الموضوع مثار الاختلاف فيفتون في السؤال، ليأتي الجواب العضال!.

٣٧- وذكر منها ابن عبد الوهاب: تمنيهام الأمانى الكاذبة.

قلنا: كتمنيهم بأنهم سيكونون في الفردوس وغيرهم في جهنم (تلك أمانيهام)! فلا يجوز التآلى على الله، فإن أبوا نقول لهم: (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين).

٣٨- وذكر منها ابن عبد الوهاب: دعواهم أنهم أولياء الله من دون الناس.

قلنا: ومن زعم أنه وطائفته هم الناجون وغيرهم هم الهالكون فقد وافق قول ابن عبد الوهاب هنا، وأتباعه في هذا رأس.

٣٩- وذكر منها ابن عبد الوهاب: الفخر بالأحساب.

٤٠- وذكر منها ابن عبد الوهاب: الطعن فى الأنساب.

قلنا: أمثلة هذه النقاط واضحة فى غلاة الوهابية، مع أنه فخر بلا علم، والفخر بالحسب والنسب بحسب الهدف منه، فإذا كان الهدف منه الحث على الخير فهو حسن، وإن كان الهدف منه إضفاء مزايا على بقية الناس فهذا قبيح، وأما الطعن فى النسب فمذموم على كل حال، لكن من انتسب إلى غير أهله، فيجب بيان ذلك عند أهل النسب، لأنه محرم، ومعيار الشرع فى الفضل هو التقوى، والتقوى أصبحت كلمة، وعند الله الميزان.

٤١- وذكر منها ابن عبد الوهاب: أن الذى لا بد منه عندهم تعصب الإنسان لطائفته، ونصر من هو منها ظالماً أو مظلوماً.

٤٢- وذكر منها ابن عبد الوهاب: أن دينهم أخذ الرجل بجريمة غيره.

٤٣- وذكر منها ابن عبد الوهاب: تعبير الرجل بما

فى غيرهه.

٤٤- وذكر منها ابن عبد الوهاب: عظمة الدنيا فى قلوبهم.

٤٥- وذكر منها ابن عبد الوهاب: رميهم أتباع الرسل بعدم الإخلاص وطلب الدنيا.

قلنا: وهذه النقاط فى بعض غلاة الوهابية من أخذهم الرجل بجريرة غيره، والتعصب للطائفة أو القبيلة أو المنطقة، ورميهم المؤمنين بحب الدنيا وهم من أحرص الناس على الدنيا...إلخ.

٤٦- وذكر منها: لبس الحق بالباطل.

قلنا: وهذا من أوضح الأمور فى غلاة الوهابية، فإذا قال الواحد منا قولاً ألبسوه لباساً غير لباسه، وقدموه ليستفتوا فيه بعض الناس، وهذه المسألة من أوضح السمات فى غلاة الوهابية، وهى سمة عامة فى كل غلاة الفرق الإسلامية.

٤٧- وذكر منها ابن عبد الوهاب: كتمان الحق مع العلم به.

قلنا: وهذا فى بعض غلاة الوهابية ومعتدليها، ويرددون فى ذلك بعض الشعارات الصحيحة لكن فى غير موضعها مثل: ما كل ما يعلم يقال! وحدثوا الناس بما يعرفون! التدرج فى الدعوة! وغير ذلك من الأعداز التى يعطلون بها واجب إنكار ما تحتويه الكتب من تكفير واستهانة بحقوق المسلم، كما يتم كتم العلم الصحيح ومجاملة الباطل بمثل هذه الشعارات التى ينزلونها فى غير مواقعها، وإذا كانوا قد أنزلوا الآيات الكريمة فى غير ما أنزلت له فسواها من باب أولى.

٤٨- وذكر منها: القول على الله بلا علم.

قلنا: وهذا كثير جداً، فهم يرددون أن الله أراد كذا وفعل كذا لأجل كذا... وحرّم كذا وأباح كذا...إلخ.

٥٠- وذكر منها: التناقض الواضح.

قلنا: مثل غلو غلاة الوهابية فى تكفير وتبديع الفرق الإسلامية بأقوال هى دون ما يقولها بعض سلفهم، فإذا جئت لهم بأقوال قالها بعض سلفهم تقتضى على منهجهم التكفير أو التبديع كأقوال البريهارى وأبى يعلى وابن تيمية

فى عقيدة الشاب الأمرد- أن الله جاء للنبي فى صورة شاب أمرد- مثلاً، أخذوا فى الإرجاء والاعتذارات بأعدار هى دون أعدار من يبدعونهم ويضللونهم، وكذا تجدهم يبالغون فى ذم الخارجين على سيدنا عثمان وتكفيرهم، مع غلوهم فى الثناء على كل الصحابة وخاصة الطلقاء! مع أنه كان فى رؤوس الخارجين على عثمان صحابة رضوانيون! بل فى معارضيه بدريون، وهم أولى بالدفاع من الطلقاء! ومن التناقضات المشهورة تشنيعهم على من اتهم ابن تيمية بالنصب، وسكوتهم عن اتهم أبا حنيفة بالكفر والزندقة!

٥١- وذكر منها: الإيمان ببعض المنزل دون بعض. قلنا: كإيمان بعض غلاة الوهابية بـ(تلك أمة قد خلت!) وتركهم الإيمان بـ(فقاتلوا التى تبغى!) مع أن الآية الأولى ليست قطعية الدلالة على ما يزعمون لنزولها فى سياق الرد على اليهود فى انشغالهم بنسبة هذا النبى وذلك إلى اليهودية وتركهم العمل، بعكس الأخيرة.

٥٢- وذكر منها: مخالفتهم ومجادلتهم فيما ليس لهم به

علم!!

قلنا: كجدال بعض غلاة الوهابية فى التاريخ- عبد الله ابن سبأ والقعقاع نموذجاً- وهو لا يعرف عن الروايات فى الموضوع، ولا تحرير المسألة، ولا محل الخلاف. ٥٣- وذكر منها: دعواهم اتباع السلف! مع التصريح بمخالفتهم.

قلنا: وكذا غلاة الوهابية فهم يزعمون أنهم على منهج السلف الصالح، ويقصرون السلف الصالح على أربعة أو خمسة فى القرنين الثالث والرابع، واثنين فى القرن الثامن، ويهملون السلف الحقيقى وهم المهاجرون والأنصار مع كبار التابعين بإحسان، وتابعيهم من السادة الصوفية بإحسان أيضاً، لكن معظم الأمور التى يدندنون حولها من تكفير وتجسيم وتشبيه وغلو فى العلماء وغير ذلك... لم يكن عليها السلف الحقيقى وإنما نشأت مع شذاذ الحنابلة من عهد المتوكل فى منتصف القرن الثالث.

وأخيراً نقول: هكذا كثير من المسائل التى عدها محمد ابن عبد الوهاب من مسائل الجاهلية هى موجودة اليوم

بين الغلاة من أتباعه، فأصبح الغلاة الذين يمنعون من تخطئته ولو بالدليل والبرهان من أبعد الناس عن دعوته ومنهجه، وربما لو كان حياً لبدأ بتكفيرهم وقتالهم! ولأنتى على من يظنونه خصماً له، مثلما تظن الوهابية أن الإمام علياً لو كان حياً لبدأ بالإنكار على الغلاة من الشيعة ولجلدهم.

الخلاصة فى هذا الفصل:

أن الغلاة غالباً من وهابية وغيرهم، يوصون بالعدل ويظلمون، يأمرن بكل بر وينسون أنفسهم، يَحْكُمُونَ بالإسلام، ولا يُحْكُمُونَ به، وليس أكثر طرفة من مدحهم العقل وأمرهم بالتفكر والتدبير، مع ثنائهم على الرحمة والإحسان، وهكذا لا تكاد تجد لهم أمراً إلا خالفوه، ولا يدركون هذه المخالفة.

وهم بحاجة قبل أن ينصحوا غيرهم أن يراجعوا أنفسهم، ولن يستطيعوا إلا بهدوء نفس وتعود من الشيطان، واعتراف بأن نفوسهم كسائر النفوس البشرية

يعتريها النقص، فليتهم بدلاً من هذا الجرى فى مضمار الخصومة والردود والتلفيق أن يأخذوا قسطاً من الراحة للمراجعة والتقييم، فمهما كثرت الردود لهم أو عليهم إن لم تقترن ببرهنة واضحة على التجرد والإنصاف سيثشعرون يوماً بعد بانقشاع الناس من حولهم وإن جاملوهم فى الوجوه، فمن العقل أن تتم المراجعة فى وقت القوة المتبقية، ويتم بيان بعض الأخطاء سواء فى المنهج أو المضمون البشرى المتوارث، مع حسن الظن بالمخالف، والعلم بأن سوء التصرف مع المختلفين معهم فى الرأى هو الذى أكثر من عدد المخالفين، وأحد أنيابهم وألهب حماسهم.

الرجوع عن الباطل اليوم فضيلة قبل أن يكون الرجوع عشوائياً من حق وباطل إلى حق وباطل آخرين!!.

الزيدية:

الزيدية مذهب كغيرهم من المذاهب يؤخذ منهم ويرد، وهم من جملة الفرق المظلومة عند غلاة السلفية، وفي الزيدية علماء وفضلاء وزهاد ولهم فضل كبير في تاريخ الإسلام الفكري والسياسي، وعندما نعترف بإسلامهم وفضلهم، أو بإسلام وفضل الشافعية والحنفية والمالكية وغيرهم، لا يعنى هذا أن ننتسب لواحد من هذه المذاهب، علماً بأن الانتساب لأحد المذاهب الأربعة أو للزيدية أو للظاهرية أو الجعفرية أو الإباضية ليس محرماً شرعياً ولا عيباً قبيلاً حتى يذمه هؤلاء الغلاة، بل لو كان الأمر كما يصور هؤلاء لكان الانتساب لمذهب رجل من أبناء رسول الله ﷺ (الذين هم خيار من خيار من خيار، والذين نصلى عليهم في كل تشهد) أفضل من الانتساب لمذهب رجل من بكر وائل أو بنى تميم أو الأصابع، ثم الزيدية وخاصة المتقدمين منهم، كانوا أئمة أهل السنة فالإمام زيد بن علي ؑ وكذا النفس الزكية ؑ ناصرهم أكثر أهل

الحديث والفقهاء في زمنهم، بل إن ثلاثة من الأئمة الأربعة (أبو حنيفة ومالك والشافعي) كانوا من أتباع أئمة الزيدية في زمنهم، فأبو حنيفة كان من أتباع وتلاميذ سيدنا زيد بن علي، ثم من أتباع النفس الزكية بعده، (وقد سمَّه المنصور لهذا السبب)، وكذا كان الإمام مالك يفتى بالخروج مع النفس الزكية وقد سجن لأجل ذلك بسبب فتواه (ليس على مستكره بيعه)، وكان الشافعي مع أحد أئمة الزيدية في اليمن؛ وكاد الرشيد أن يفتك به، وكان معهم أيضاً من كبار علماء أهل السنة محدثون وفقهاء كبار كمنصور بن المعتمر، وسلمة بن كهيل، وسفيان الثوري (وكان يقول بعد قتل إبراهيم بن عبد الله الزيدي: ما أظن الصلاة تقبل إلا أن فعلها خير من تركها) وهذا يدل على شدة تأثره وتأنيبه نفسه، وناصرهم أيضاً الأعمش، وعباد بن العوام، ويزيد بن هارون، وهشيم بن بشير (أول شيوخ الإمام أحمد)، والعوام بن حوشب، ومسعر بن كدام، وشعبة بن الحجاج أمير المؤمنين في الحديث (وكان يسمى القتال مع الزيدية: بدر الصغرى)،

والحسن بن سعد الفقيه، ويزيد بن أبي زياد، ومحمد بن ليلى، وقيس بن ربيع، وأبو عمرو بن العلاء اللغوى القارئ المشهور، وسلام الحذاء، وأبو داود الطهوى، وفطر بن خليفة، وعيسى بن أبي إسحاق السبيعي، وأخوه يونس، وأبو خالد الأحمر، وعبد الله بن جعفر والد على ابن المدينى، وأسامة بن زيد (وهو محدث وليس الصحابى)، ومسلم بن سعيد، وخليفة بن حسان، وإسحاق ابن يوسف الأزرق، والأصبغ بن زيد، وهشام بن حسان، وصالح المروزى، والحجاج بن بشير، وأبو العوام القطان، وعبد ربه بن زيد، وعبد الحميد بن المحبق، والحكم بن موسى، وعمران بن شبيب، وعباد بن منصور، وخالد بن عبد الله الواسطى، (وليس القسرى الأمير المشهور بالظلم)، ويونس بن أرقم، والمفضل الضبى، وعمر بن عوان، ومومل بن إسماعيل - والحسن ابن صالح بن حى، وأخوه على بن صالح، بل كانا زيديين - وغيرهم كثير من أهل العلم والفضل والفقه، يمكن لمن شاء مراجعة تاريخ الطبرى (الأعوام ١٢٢هـ،

١٤٥هـ)، ومقاتل الطالبين للأصفهاني وغيرهما من المصادر، وفيها بعض الروايات تذكر إجماع المحدثين والفقهاء على نصره الزيدية فى تلك الأزمان ولا يستثنون إلا أفراداً.

إذن فالانتساب للمذهب الزيدى لو أراد أحد الانتساب له لا يمنع، فقد انتسب إليه أو نصر أصحابه من هو أفضل وأعلم، بل من هو أعلم وأفضل من أحمد بن حنبل وابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب، فضلاً عن البربهارى وابن بطة وأبى يعلى وأمثالهم.

لكن ما ندرى لماذا افتخار غلاة السلفية على الزيدية وليس عندهم نسبهم الشريف، ولا تدينهم الرصين، ولا عقلمهم الصريح، ولا زهدهم فى الدنيا، ولا نضالهم من أجل الحرية والعدالة، ولا تاريخهم البطولى؟!

ولا نرجع هذا الهضم من السلفية للزيدية إلا إلى الجهل بالذات قبل الجهل بالآخر، والناس أعداء ما جهلوا، حتى أن غلاة السلفية يعدون كلمة (زيدى) عاراً وسبة؟! حقاً إن الأمر غريب!

وكان المفتخرين من غلاة السلفية يوازنون الزيدية علماً وأعلاماً، وعقلاً وفضلاً، وتاريخاً ونسباً!.

تكفير باطل

معظم الأمور التي يكفر بها ابن عبد الوهاب وأتباعه المسلمين ليست مكفرة، بل يرى جوازها جمهرة من علماء المسلمين، بل الحنابلة أنفسهم على تشددهم يرون جواز هذا، كالإمام أحمد بن حنبل، وإبراهيم الحربي الحنبلي، وعبد الله بن أحمد بن حنبل... والعلماء الذين يرون جواز هذا عند غيرهم من باب أولى، ويحسن بنا هنا أن نوثق بعض ما سبق.

التبرك بروضات الصالحين

١- التبرك بالقبور والتمسح بها يجعله ابن عبد الوهاب (شركاً أكبر)، ولكنه عند أحمد بن حنبل إمام المذهب (لا بأس به)! ففي كتاب العلل ومعرفة الرجال (٤٩٢/٢) لعبد الله بن أحمد بن حنبل قال: (سألته- يقصد أباه- عن الرجل يمس منبر النبي ﷺ ويتبرك بمسه ويقبله

ويفعل بالقبر مثل ذلك أو نحو هذا يريد بذلك التقرب إلى الله ﷻ؟ فقال (أحمد بن حنبل): لا بأس بذلك!

فابن عبد الوهاب وأتباعه هنا، بين عدة خيارات:

- إما أن يقولوا: إن هذا لا يصح عند أحمد، وعلى هذا يلزمهم تكذيب عبد الله بن أحمد، وطرح كتب أحمد ابن حنبل التي انفرد عبد الله بروايتها كالمسند وفضائل الصحابة والعلل، وهذا ما لا يستطيعونه.

- وإما أن يقولوا: إن أحمد بن حنبل ﷺ بهذا القول هو مشرك شركاً أكبر ينقل عن الملة! وهذا لن يقولوه ولا يحق لهم ولا يستطيعون..

- وإما إن يقولوا: أن هذا ليس بشرك وأن صاحبه لا يكفر، وهنا يلزمهم الحكم بالإسلام لمن كفرهم محمد بن عبد الوهاب وأتباعه، لأن غاية ما نعلم عنهم أنهم يرون التبرك والتمسح بروضات الصالحين والأولياء وما سوى ذلك فدعاوى وإلزامات خصومهم الوهابيين.

وعلى هذا إذا كان الخلاف كبيراً بين الإمام أحمد وابن عبد الوهاب فأحدهما يقول: (لا بأس به) والآخر يقول:

الأنبياء لا تجوز، وهو يكرر أن من عبد نبياً أو ولياً فهو مشرك، وهو صادق في هذا القول، لكنه غير صادق بأن من تبرك فقد أشرك، فهناك فرق كبير جداً بين قول ابن عبد الوهاب العام الذي يوافق عليه كل المسلمين، لكنه مخطئ في إدخال صور كثيرة وممارسات ضمن الشرك وهى ليست بشرك أصلاً، لا أكبر ولا أصغر، لا يبيح عبادة الأنبياء والجميع يتفق معه فى هذه المقدمة، فهذه ليس فيها نقاش، إنما النقاش والإنكار جعل التبرك والتوسل شركاً أكبر، وقد فعله صحابة من أهل بدر والرضوان ولم ينكره عليهم أحد من الصحابة ولا التابعين، فعلى هذا يلزمكم تكفير أبى أيوب الأنصارى وابن عمر وأحمد بن حنبل، بل وتكفير الصحابة الذين لم ينكروا عليهم هذا، مع الشهادة بالتوحيد فى عصر الصحابة لمروان بن الحكم فقط! فهو الوحيد الذى أنكر على أبى أيوب وضع خده على الروضة الشريفة.

(وهنا نقطة: وهى أننا نجد كل أمورنا مصبها فى بنى أمية! حتى فى مثل التشددات العقدية التى نلقاها عند

(شرك أكبر) فهذا خلاف واسع جداً لا يصلح بعده أن يقول ابن عبد الوهاب ومقلدوه: إنهم على منهج أحمد بن حنبل فى العقيدة.

ثم معاصرو ابن عبد الوهاب من العلماء قد يرون التبرك بروضات الصالحين على هذا النحو، ولا يرون هذه عبادة لغير الله ولا شركاً، بل ربما رأوا رأى أحمد ابن حنبل بأن هذا ليس محرماً ولا مكروهاً أصلاً.

وحجة أحمد بن حنبل وغيره من العلماء- الذين خالفهم الوهابية- الذين هم جمهرة علماء المسلمين، فى هذا القول بأنه: (لا بأس به أو مباح أو مندوب) أن بعض الصحابة كأبى أيوب الأنصارى وابن عمر كانوا يفعلون مثل هذا عند المنبر أو الروضة وسط الصحابة، ولم ينكر عليهم أحد من الصحابة، مما يدل على أن هذا إجماع سكوتى.

فإن قال قائل: هناك فرق بين روضة النبى ﷺ فى تربته بركة وأما من سواه فلا...!

نقول: ابن عبد الوهاب يجعل هذا عبادة، وعبادة

بأقوالهم السابقة كفاراً كفراً أكبر ينقل عن الملة!
ولو سردنا أسماء العلماء الذين يرون الرأى السابق
ونحوه مما يجعله الوهابية شركاً أكبر لطلال بنا المقام.
وحقيقة الخلاف هو أن ابن عبد الوهاب لم يحرر
المعنى الشرعى لأكثر المصطلحات التى يستخدمها
كالشرك والعبادة والاستعانة والدعاء والتوحيد والإيمان بل
والإسلام...إلخ.

فتجده ينتصر لتعريف حاد لهذا المصطلح أو ذاك، ثم
يسوق الناس بعصاه ليأطروهم على هذا التعريف وتكفير
من يخالفه.

وقد يجد له سلف فى حدىة التعريف كابن تيمية وابن
القيم، أو بعض أهل اللغة، لكن لا يجد له موافقا على
تنزيل هذا التعريف الحاد على واقع المسلمين، لأن
التعريف ظنى أولاً، ولأن هناك موانع ثانياً... ولأن...
ولأن... إلخ.

فمثلاً: العبادة لو نرجع لتعريفها عند ابن عبد الوهاب
بل وعند علماء اللغة سنجدها تدور حول معنى واحد

مروان بن الحكم، والتشدد الفقهى فى وصلات شعر
النساء والركعتين بعد العصر والإتمام فى الحج، نجده عند
معاوية، وغلاة السلفية ومنهم غلاة الوهابية يسيرون
سيرهم حذو النعل بالنعل... فلا يهتمهم عدل ولا حقوق
إنسان ولا رفع ظلم ولا تخفيف أثرة، اللهم إلا ما جاء
عرضاً أو ندرة أو مضاهاة للآخرين، إنما همهم الأول فى
هذه الأمور التى فرقوا بها عباد الله بين مشرك وموحد،
مهتد وضال)..

٢- إبراهيم الحربى الحنبلى - وهو من كبار تلاميذ
الإمام أحمد بن حنبل - قال: قبر معروف الكرخى الترياق
المجرب (أنظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٤٣/٩)،
وأقره الذهبي، بل زاد الذهبي شارحاً هذا بقوله: (يريد
إجابة دعوة المضطر عنده - أى عند القبر - لأن البقاع
المباركة يستجاب عندها الدعاء، كما أن الدعاء فى السحر
مرجو، ودبر المكتوبات، وفى المساجد..).

قلنا: وعلى هذا لو كان أحمد بن حنبل وإبراهيم
الحربى والذهبي معاصرين لابن عبد الوهاب لكانوا

وهو: (الخشوع والتذلل) لكن هل نطبقه مطلقاً بحيث إن من خضع لسلطان ظالم، أو تذلل لأبويه، أو لمعشوقته... هل نجد هؤلاء عابدين لغير الله؟! كلا.. فالله قد أمر بالخشوع والتذلل للوالدين ﴿واخضوا لهما جناح الذل من الرحمة﴾ فهل هذا الخشوع والتذلل عبادة لهما؟. ووصف الله المؤمنين مادحاً لهم بقوله ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ فهل المؤمنون يعبدون المؤمنين؟.

وقال عن أخوة يوسف: ﴿وخروا له سجداً﴾.

فهل عبده بهذا؟ ألم يرسل الله كل الأنبياء - كما يقول ابن عبد الوهاب - بتوحيد الألوهية؟ كيف ويعقوب عليه السلام والد يوسف عليه السلام نبي مرسل؟ فهل كان مشركاً لما رضى بهذا السجود؟ نعوذ بالله من هذا القول.

إذن فهناك فرق كبير بين من يخضع لصنم أو شخص معتقداً فيه الألوهية، ومن يخضع تكريماً أو حباً أو خوفاً أو طمعاً معتقداً فيه البشرية وأن الألوهية: لله وحده. وكفار قريش كانوا يظنون أن الأصنام آلهة، وأنها

تضر وتنفع وترزق وتشفع أذن الله أو لم يأذن، وأنها مستحقة للعبادة، وأن العبادة لا تأتي إلا لها، فكل عبادتهم لها ودعائهم ورجاؤهم وذبحهم ونذرهم... ولا ينال الله من رجائهم وخوفهم وعبادتهم ونذرهم شيئاً، فأصبح الله عندهم مجرد اسم، له الخلق فقط، وهذا لم يكن موجوداً في المسلمين الذين قتلهم الوهابيون وهم يصلون الجمعة في مسجد العيينة باعتراف الوهابية أنفسهم، فهل يا ترى كانوا يؤدون الصلاة لهبل واللات ومناة؟!.

إذن فالمسلمون هم يعرفون أن الله وحده هو الذى بيده كل شيء، ولكنهم عند خضوعهم لبشر أو طلبهم شفاعته لا يقولون ذلك وهم معتقدون فيهم الألوهية، وهذا فرق كبير بين العبادة الشركية التى تجعل من المطلوب بشراً منحه الله شفاعته أو بركة وإلا فلا يملك لنفسه شيئاً إلا بفضل الله ورحمته وتأيبده وإذنه، وأن الأمر كله لله.

وهكذا كثير من الآيات التى يستدل بها ابن عبد الوهاب لا يذكر الآيات الأخرى التى تمنع فهمه الحاد لهذه الآية أو تلك.

أحاديث ذم نجد بين العراق ونجد

إن حجة خصوم الوهابية في وصفهم بالخوارج أسهل من حجة الوهابية في تفضيل كفار قريش على مسلمي زمانهم، ومن الأحاديث التي استدلت بها خصوم الوهابية في التشنيع على الوهابية حديث (هناك الزلازل والفتن ومنها يطلع قرن الشيطان) الذي أوّله الوهابية بأن المراد نجد العراق، وأوّله السلفية المتقدمون بهذا لأجل ذم الشيعة وأهل الرأي والمعتزلة، وهذه دلائل على أن نجد المقصودة في الحديث هي نجد الحالية، وهذا لا يعنى تعميم الذم بكل أهل نجد ولا إنزاله على كل زمان، فمن حجج من يرى أن نجد الحديث هي نجد المعروفة اليوم:

١- أن (نجد) إذا أطلقت نجد فلا تعنى إلا نجد المعروفة وسط الجزيرة، مثلما نطلق الحجاز على الحجاز المعروف على ساحل البحر الأحمر الذي يمتد على طول البحر الأحمر ويكون مركزه شاملاً لمكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة...، وليس كل ما حجز بين بحر وجبل

يكون (حجازاً) في الناحية العرفية وإن جاز هذا من الناحية اللغوية، ولهذا فـ(نجد) إذا أطلقت انصرف المعنى على العرف كما نطلق الحجاز وينصرف هذا على العرف، والعرف مقدم على الوضع اللغوي بالإجماع، أما نجد من حيث الوضع اللغوي فصحيح أنها تشمل كل ما ارتفع من الأرض، وكذا الحجاز لغوياً تشمل كل ما حجز بين بحر وجبل.

٢- مما يدل على أن نجد غير العراق- وأن نجد المعروفة عرفاً هي نجد المعروفة اليوم- أن هناك ميقاتين من مواقيت الحج، ميقات أهل نجد وميقات أهل العراق، ولو كانت نجد والعراق مختلطة لقبل ميقات نجد الأولى ونجد الثانية، كما يقال في الثغور الإسلامية عن أرمينيا الأولى والثانية والثالثة والرابعة.

٣- ومن الدلائل على ضعف هذا التأويل أن شرق المدينة هو نجد الحالية، وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ أشار بيده نحو المشرق، وكان يوم أشار يخطب في المسجد النبوي، فشرق المدينة هو نجد المعروفة، وليس

واللغة والمنطق عراقيون... فإن صححنا حديث الصحيحين في ذم نجد فنجد العرف أولى من إزاق هذا الذم بنجد اللغة، ثم تخصيص نجد من هذا النجود اللغوية وجعله خاصاً بالعراق... فهذا تكلف كبير في تأويل الحديث وصرفه عن مدلوله... (١)

وعلى هذا فقرن الشيطان خرج بنجد ولعل المراد بذلك مسيلمة الكذاب، وتبعهم الخوارج، وتبعهم القرامطة... إلخ،

(١) إن معاشر السلفيين ورثوا (ذم العراق) من خصومهم النواصب أهل الشام- وما أكثر ما ورثوا منهم!- فخطب الحجاج زياد، ما زالت تتردد في الأسماح، وقد حرف بعض الرواة في بعض ألفاظ الحديث وأبدل كلمة (نحو المشرق) التي في الصحيحين.. بكلمة (نحو العراق) إمعاناً في ذم العراقيين وعداوتهم، وقد كان للدولة الأموية أثرها البالغ في ذم العراق حتى تأثر بذلك بعض الفقهاء فجعل أحاديث أهل العراق كأحاديث أهل الكتاب (لا تصدقوهم ولا تكذبوهم)، فكيف بسائر الناس... والغريب أن بعض الحنابلة كابن تيمية (وهو شامي) يبالي في ذم العراق مردداً من ضمن ما يردد المقولة (لا تصدقوهم ولا تكذبوهم) دون النظر في مدى صوابها، ولو قال له أحد: حسناً فالإمام أحمد بن حنبل (عراقي) وعلى هذا لا تصدقوه ولا تكذبوه! لبهتوا...!

العراق، ومن شاء أن يتأكد فيلفتح خريطة الجزيرة العربية ويستعين بمدار السرطان- الذي لم يضعه الوهابية ولا مخالفوهم- فهو يمر جنوب المدينة المنورة وجنوب الرياض، فلو أخذت خطأ مستقيماً على الخريطة واتجهت به من المدينة شرقاً فلن يخطئ الدرعية أو البطحاء أو ما بينهما! فإذا ثبت أن النبي ﷺ أشار بيده نحو المشرق- والحديث في الصحيحين- وقال: (هناك الزلازل والفتن ومنها يطلع قرن الشيطان) فشرق المدينة هو وسط نجد المعروفة وهي المقصودة وليس وسط العراق، وهذا لا يعني ذم كل نجدى في كل الأزمان، كما أن مدح المدينة لا يعني الثناء على كل مدني، وإنما العبرة بالأغلب أو بفترة دون فترة، أو أن الذم مخصوص بظهور الردة... إلخ.

٤- ظهور العلم بالعراق دون نجد فمعظم أهل الحديث وأئمة الفقه واللغة عراقيون... وهذا يؤكد أن العراق فيه من الخير والعلم والحضارة الإسلامية بشتى معالمها ما ليس في نجد، فأئمة المسلمين في الحديث والفقه والتفسير

فلماذا كل هذا الحماس في رد دلالة الحديث، ألا يخشى المؤولون أن يكون هذا الإصرار في الرد والتأويل من (تلك الزلازل والفتن) ومن (تزيين الشيطان)؟!.

ثم سبق أن قلنا أن ذم منطقة ومدح أخرى إنما هي بخصوص سبب أو حسب الأغلب أو نحو ذلك، فلو سمعنا بأن نجد المذمومة هي العراق أليس في العراق فضلاء وصالحون في الماضي والحاضر؟ ألم يكن في العراق كثير من الصحابة والتابعين والفقهاء والمحدثين، فمن الصحابة بالعراق: الإمام على بن أبي طالب، وحذيفة بن اليمان، وعمار بن ياسر، وعمران بن حصين، وسعد بن أبي وقاص، وأمثالهم، بل نزل الكوفة مع الإمام على بن أبي طالب ثمانمائة من الأنصار، ثم تبع هذه الطبقة طبقة كبار علماء التابعين، كأويس القرني خير التابعين، وعلقمة ابن قيس، وعبيدة السلماني، وأبو عبد الرحمن السلمي، وعبد الرحمن بن أبي ليلي، وشريح بن الحارث قاضي الأمة، والربيع بن خثيم، وسويد بن غفلة، والحارث الأعور، وأبو وائل، وزر بن حبيش، والأسود بن يزيد،

وسعيد بن جبير، ثم إبراهيم النخعي ومن في طبقتهم كالشعبي وسالم بن أبي الجعد، والحكم بن عتيبة، وسلمة بن كهيل، وحماد بن أبي سليمان إمام أهل الرأي، وأبو إسحاق السبيعي، ثم أبو حنيفة وطبقته كالأعمش وإبان بن تغلب، وعاصم بن أبي النجود القارئ المشهور، ومنصور بن المعتمر، ومسعر بن كدام، والحسن بن صالح بن حي، وسفيان الثوري، والإمام زفر، والقاضي أبو يوسف، ومحمد بن الحسن الشيباني، ثم وكيع وطبقته كأبي معاوية الضرير، وابن فضيل، وحفص بن غياث، وأبي بكر بن عياش، وأبي نعيم الفضل بن دكين، وعبيد الله بن موسى العبسي شيخ البخاري وطبقته، ثم كان معظم أهل الحديث من الكوفة فضلاً عن بقية العراق كالبصرة وبغداد وواسط والأهواز والموصل..

وبالعراق من غير الكوفيين الحسن البصري وابن سيرين، وقتادة وأحمد بن حنبل والخطيب البغدادي وابن الجوزي ونحوهم، ومن أهل اللغة سيبويه وأبي عمرو بن العلاء والأخفش، ومن الشعراء المتنبي والبحتري وأبي

تمام...إلخ.

بينما لم يظأ الصحابة والتابعون وسط نجد إلا مقاتلين لأهل الردة- باستثناء قلائل كثمامة بن أثال- ولم يظهر بها من أهل العلم المشهورين غير يحيى بن أبى كثير الطائى من شيوخ معمر وطبقته وهو مع هذا غامض إلا عند الخاصة، ثم استمرت فترات كبيرة من الجهل، ولعل أصلح أحوالها هى تلك المرحلة التى سبقت محمد بن عبد الوهاب فقد كان فيها عدد كبير من القضاة والعلماء، ومع ذلك فتلك الفترة ذمها الوهابية أشد الذم وكفروا عامتها وخاصتها، وجعلوهم أكفر من كفار قريش، فإذا كانت هذه حالتها وهى فى أحسن أحوالها- ونحن لا نوافق أبداً على هذا التكفير- فهى أولى بالحديث من العراق التى خرج منها نصف علماء الأمة، ومن شك فليعمل استبياننا بعدد العراقيين من العلماء فليجعلهم فى كفة وبقية الأمة- من حجازيين وشاميين ومصريين ومغاربة وأندلسيين ويمنيين وخراسانيين ونيسابوريين وقزوينيين وفارسيين وسجستانيين وبخاريين وسمرقنديين وجيلانيين ودلميين

ومروزيين وأصفهانيين...إلخ- فى كفة ولينظر النتيجة ثم ليعيد قراءة الحديث! ولينظر هل الأولى تطبيق حديث (نجد) على العراق أم على (نجد)!!؟.

الفصل الثاني

قراءة فى كتاب التوحيد

محمد بن عبد الوهاب

تمهيد:

هذا الكتاب الصغير وكتاب كشف الشبهات من أشهر كتب ابن عبد الوهاب، بل لعلهما أشهر كتبه على الإطلاق^(١)، وقد ألفه ابن عبد الوهاب فى بداية الدعوة،

(١) والنسخة التى اعتمدنا عليها طبعتها وزارة الشؤون الإسلامية (الطبعة عام ١٤٢٢هـ) وتقع النسخة فى ١٠٨ صفحات من القطع الصغير وعلى نفقة التاجر المشهور سليمان بن عبد العزيز الراجحي (فالنسخة فيها الجانب الحكومى والجانب الشعبى، مع ما فى الكتاب من غلو فى التكفير، ولو أن الحكومة السعودية والأغنياء اقتصروا على نشر الكتب المحايدة لكان أولى، كالمصحف الشريف ثم الصحيحان وكتاب الأم للشافعى وكتاب الاستنكار لابن عبد البر ونحوها لكان أولى، بل حتى الكتب المذهبية كالمغنى فى فقه الحنابلة، والسنن الكبرى للبيهقى فى فقه الشافعية، والعناية فى الفقه الحنفى، والمدونة فى فقه المالكية لكان أولى من نشر الكتب الموهلة فى المذهبية التى لها أثرها

فهو من أول ما ألفه.

وقد أسهم الكتاب فى رفع درجة الغلو فى السنوات الأخيرة، لأنه تم تقريره مقررأ دراسياً لكل مراحل التعليم العام فى المملكة، فهو مقرر فى مدارس التعليم العام من الصف الأول ابتدائى إلى الصف الثالث ثانوى، مع زيادة موضوعات ثقافية فى الصفوف الثانوية فقط، أما المتوسطة (الإعدادية) فالكتاب- مع زيادة شروحات (تخفيفية) وتغيير بعض العناوين بحيث تكون أكثر

البالغ فى زيادة الغلو، وتفكيك وحدة المسلمين وزيادة تنازعهم، ككتب ابن تيمية وكتب ابن عبد الوهاب، فهذه الكتب تزرع من الشقاق أكثر مما تزرعه من الخير، ولا تكاد تدخل بيتاً إلا وانتشر فيه الخلاف والتهاجر والتباغض.. لأنها تركز على أمور خلافية ثم تنصّر الرأى المتشدد فى هذه الأمور، ثم ترتب على عدم اتباع هذا الموقف التكفير أو التبديع مع وجوب الهجر والبغض لمن لم يوافقهم على هذا الرأى لأنه- فى رأيهم- هو الإسلام ذاته! وهو النص! وهو الحق المطلق!.. فمن الطبيعى حدوث الخلاف والشقاق بين أفراد البيت الواحد.. ثم بعد هذا تقول الوهابية: نحن لا نسهم فى نشر الغلو، وتستغرب اتهامات الآخرين لهم من مسلمين وغير مسلمين!.

هدوءاً- هو المقرر نفسه وبالعنوان نفسه (كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد) وأما الابتدائية فالمقرر مختصر منه.

وقد تعبنا فى التنبيه على هذا الموضوع من قديم، لكن وزارة التربية والتعليم فى المملكة يظهر أنه لاصلاحية لها فى تغيير المقرر، أو تشكيل لجنة تأليف شرعية مستقلة معتدلة، لأن مجرد شكوى واحدة من العلماء للسلطة السياسية كفيلا بالإطاحة بهذه اللجنة واعتدالها.

فذلك تجتهد وزارة التربية والتعليم فى إقناع بعض العلماء وعرض المقررات عليهم من وقت لآخر، لاستجداء موافقة لتعديلات ملحة.. ولكم أن تتصوروا ردة فعل العلماء الذين يرون هذا الكتاب حقاً مطلقاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هذا يشبه أن تطلب الوزارة من العلماء السماح لها بتعديلات فى القرآن الكريم، للأسف أن الغلو عند الوهابية قد بلغ درجة يمكننا أن نقول: إنه اقترب من هذه الحالة.

وكل من اقترح أو حاول أن ينقد مقررات التوحيد-

ولو كان نقداً طفيفاً فى صياغة المقرر ومناسبته عمر الطالب- فإنه يكون عرضة لعقوبات (سرية) بالغة!

على كل نعود لكتاب التوحيد:

الكتاب يتكون من (١٠٨) صفحات من القطع الصغير، و(٦٥) باباً.

وسنذكر هنا نموذجاً من الملحوظات، لارتباطه الشديد بفكر ابن عبد الوهاب ومنهجه، وكونه أول ما ألفه من كتبه، وكونه- مع كشف الشبهات^(١)- أشهر كتب الوهابية على الإطلاق.

وسوف نبدأ بسرد بعض الملحوظات على كتاب التوحيد.

الملحوظة الأولى:

بدأ ابن عبد الوهاب الكتاب (ص٥) بسرد الآيات فى

(١) راجع الكتاب رقم (١٣) من هذه السلسلة، حيث بينا الملحوظات على كتاب كشف الشبهات.

وجوب عبادة الله وحده لا شريك له.. وهذا ما لا خلاف فيه بين المسلمين، ولو أن الكتاب موجه لمشركين يعبدون غير الله لكان هذا صحيحاً، لكن المراد به- للأسف- هم مخالفو الوهابية من المسلمين الذين يفعلون بعض الأمور التي تراها شركاً، وهو في الواقع بين أمر مختلف فيه، أو ممارسات خاطئة يفعلها بعضهم سواء كانت مباحة أو بدعاً أو شركيات صغرى.. أما الشركيات الكبرى فنادرة جداً إن لم تكن معدومة.. ثم هذه المخالفات والخرافات والبدع ليست خاصة بعصرنا فهي قديمة، وهذا لا يعنى ترك نقدها وبيانها والتحذير منها، وإنما يجب التحرز من الغلو في إنكارها إلى أن يصل الأمر لتكفير المسلمين.

فغاية ما فى الأمر أن نعلم أنه: لن يخلو مجتمع مسلم من شذوذ فكرى لبعض أفراد، هذا أمر طبيعى فى كل أمة وكل شعب، لكن أن نتخذ هذه المخالفات مسوغاً للإضرار بأخرين ونبالغ فى الخصومة حتى نستعين بالسلطة والمقرر والخطبة والإعلام والمنبر والجمرك والوظيفة والرزق.. فهذه المبالغة فى الانتصار لأمر

أكثرها خلافة هو عين البدعة والظلم.

الملاحظة الثانية:

ثم ذكر ابن عبد الوهاب أثراً عن ابن مسعود نصه: (من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التى عليها خاتمة فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً- إلى قوله- وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً﴾ أهـ. هكذا لم يذكر ابن عبد الوهاب نص الآيتين، ولا ذكر مصدر الأثر، لكن يهمننا الآيات الكريمة هنا، بغض النظر عن كونها وصية النبى ﷺ أم لا، فيكفى أن الله قد أسمى هذه النواهي والأوامر على رأى، أو المصطفى ﷺ على رأى آخر- الآيات ١٥١، ١٥٢ من سورة الأنعام- صراطه المستقيم..

والآيتان بعد العودة إليهما نجد فيهما مايلى:

- ١- النهى عن الشرك.
- ٢- الأمر بالإحسان إلى الوالدين.
- ٣- النهى عن قتل الأبناء خشية إملاق.

٤- النهى عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

٥- النهى عن قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق.

٦- النهى عن أكل مال اليتيم.

٧- الأمر بالوفاء بالكيل والميزان بالقسط.

٨- الأمر بالعدل فى القول ولو كان ذا قربى.

٩- الأمر بالوفاء بالعهد.

وقد أحسن ابن عبد الوهاب فى النهى عن الشرك (صغيراً كان أو كبيراً) مع التحفظ على كثير من الأمور التى أدخلها فى الشرك وليست بشرك، ولكن لو تجاوزنا هذا سنجد بعض أوامر هذه الآية تم إهمالها من الوهابية نفسها مثل (النهى عن قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق)، وقد قتلت الوهابية كثيراً من المسلمين بلا حق، حتى وصل قتلهم لهم أثناء أداء الصلوات داخل المساجد، كما لم يعدلوا فى إطلاق الكفر الأكبر المخرج من الملة على علماء وعوام زمنهم (١)- من حنابلة وسنة فضلاً

(١) سبقت النماذج التى لا تترك للشك سبيلاً بأن ابن عبد الوهاب

عن غيرهم!- ومن (العدل فى القول ولو كان ذا قربى) أن نعترف بهذه الحقيقة عندما نرى الأدلة الكافية على ثبوتها.

وابن عبد الوهاب- وعلى هذا أتباعه- يركزون على الوصية الأولى فى هذه الآية وهو (النهى عن الشرك) رغم قلة الشرك أو عدمه فى الأمة، مع مبالغة فى إدخال ما ليس شركاً فى الشرك، بينما يهملون- بمبالغة أيضاً- الأوامر والنواهي الأخرى فى الآية نفسها رغم وجود ما يدعو لها- فضلاً عن الأوامر والنواهي فى القرآن الكريم كله- وأهمهما (حرمة الدماء والأعراض) فلا حرمة لدماء المسلمين (١)، ولا عدل فى القول والحكم على المخالفين من المسلمين علماء وعامة.

وأتباعه قد بالغوا فى التكفير وغلو فيه حتى كفروا معظم المسلمين فى زمنهم.

(١) لا يباح دم المسلم إلا بردة جماعية ظاهرة منفصلة ببلد من بلدان المسلمين، أو بغى وخروج على الإمام العادل، أو قطع طريق، أو قصاص أوزنى بعد إحصان.

الملحوظة الثالثة:

ثم ذكر ابن عبد الوهاب ص (٥) أثر معاذ بن جبل الذى فيه قول النبي ﷺ له: (يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد وحق العباد على الله؟.. حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً..).

نقول: أولاً: هناك فلسفة كبيرة حول الاحتجاج بالأحاديث النبوية التى ظاهرها يخالف القرآن الكريم، ولا نريد أن ندخل هنا فيها، ولا أن نقول إن حديث معاذ منها، إلا أنه مهما بلغ بنا الأمر، فتعطيلنا لحديث آحاد (ثبوته ظنى) يبقى أسهل من تعطيل آيات كريمة قطعية الثبوت والدلالة (كما سيأتى).

وابن عبد الوهاب وكذا التيار الوهابى - من ظاهر ما نقرأ ونفهم عنهم - يفهمون الناس من هذا الحديث أن المسلم إذا لم يشرك فلن يعذبه الله، ويعنون بالشرك هنا شيئين: الشرك الأصلى والممارسات الأخرى التى

ألحقوها بالشرك وفيها خلاف.

وهذا أولاً خطأ منهجى ناتج من اتباع دليل ظنى الثبوت أو الدلالة وإهمال أدلة أخرى أقوى وأصرح - وهى مصيبة عامة فى المسلمين ليست خاصة بالوهابية (١) فلا يجوز أن نحتج بحديث معارض لنصوص قرآنية

(١) وهذا الخطأ المنهجى الكبير هو نتيجة طبيعية لهجرنا القرآن الكريم من حيث التدبر، فننلوه ولا نتدبره، ولا نجمع بين الآيات فى الموضوع الواحد، ولا نحاول أن نستنتج منه النظريات العامة التى تعيننا عند القراءة فى الأحاديث المروية وسد ما أهمله الرواة أو نسوه عند رواية الأحاديث، بحيث أصبحنا نفاجاً بكثير من الأحاديث - التى صححها بعض العلماء - تخالف القرآن الكريم، ككثير من تلك الأحاديث المروية فى الترغيب والترهيب، فيفاجأ المسلم بأن هذا الحديث سيدخله الجنة وذاك سيدخله النار.. وعلى أمور يسيرة فى كثير من الأحيان، وهذه نتيجة طبيعية لإهمال المسلمين الأخذ عن إمام عصرهم، والذى أهله الله تعالى لاستنباط (قواعد هامة من صريح القرآن الكريم فى الأوامر والنواهي والمبادئ.. الكبائر و الصغائر، الأمور التى نص الله على أن فيها ثواباً أو عقاباً.. والأمور التى لم ينص.. إلخ، ولذلك خرجت تيارات ترفض قبول الأحاديث بصفة عامة وتشكك فى ثبوتها وفى شرعية تدوينها، ولو كان عند المسلمين هذه الدراسات القرآنية

مهما كان صحيحاً، أو يجب علينا على الأقل أن نصح فهمنا للحديث، أما أن نأتى بحديث ثم نفهم ظاهره فهماً قاصراً ثم نسير خلفه غير ملتفتين إلى أهمية تحديد معناه بما لا يختلف أو يتناقض مع ما هو أصح منه، ثم نخالف في هذا (السير السريع) كما كبيراً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والقواعد الإسلامية فهذا جهل أو هوى يوقعنا في التناقض، ويتيح لنا الانتقاء وما يتبعه من أخطاء في التصور أو الحكم أو الممارسة.

العبادة في الحديث- إن صح لفظه(١)- هي طاعة الله

التي تهيم- أو يجب أن تهيم- على المنطلقات الفكرية والحكم على الأمور عند المسلم لما كان المسلمون في هذا التشتت الفكري الكبير، فهذا يتمسك بأية، وهذا يتمسك بحديث، وهذا بقول عالم.. فاختلطت عندنا الأمور لأننا لم نعمل على الأخذ عن منهج إمام عصرنا الذي يرجع فيه الظنى للقطعي، والمشتبه للصريح، ومظنون السنة لصريح القرآن الكريم، وكلام العلماء للنصوص الشرعية.. وهذا مبحث طويل جداً وفقير في الوقت نفسه، وأثار فقره ظاهرة في هذا التشتت والتنازع الفكري بين المسلمين).

(١) لأن أغلب الأحاديث مروية بالمعنى باعتراف المحذنين أنفسهم

في أوامر الإسلام الكبرى ونواهيته الكبرى، ولا يجوز أن نفهم الحديث- سواء هذا أو غيره- فهماً مفصلاً عن الآيات والأحاديث الثانية، لا سيما وأن الحديث لو أخذناه حسب ظاهره لكان مناقضاً للقرآن الكريم مناقضة صريحة، فلو أن هناك رجلاً لا يشرك بالله شيئاً لكنه يقتل النفس المحرمة فهل نقول له: اطمئن فما دمت أنك

(راجع الكفاية للخطيب، ومقدمة ابن الصلاح، وكل كتب أصول علم الحديث)، والرواية بالمعنى يجوز عليها الوهم أو النسيان أو الخطأ فتبقى ظنية إلا إذا توفرت الشواهد القطعية، وقيل هذا لم يخالف نصاً قرآنياً ولا نصاً حديثياً أصح منه ولا برهاناً عقلياً.. فالحديث صحيح الإسناد فهو في الصحيحين، لكن المتن ليس على ظاهره، بمعنى أن القرآن الكريم قد نص على تعذيب من يرتكب الكبائر- كالقتل بلا حق وأكل مال اليتيم والظلم..- حتى لو لم يشرك الشرك الأكبر، مع أن ظاهر الحديث خلاف هذا، فيجب إخضاع الحديث للقرآن الكريم وعرضه عليه، وإلا أصبح القرآن الكريم كتاب بركة فقط، وهو الحاصل للأسف، فنحن نقرأه ونختمه في الشهر أو السنة لكننا لا نتحاكم إليه في كل أمورنا، ولا نحاكم ما تناقله الرواة- وأغلبه نقل شفهي- إلى القرآن الكريم، فلذلك ضعفت عقولنا وعدلنا وعلمنا بشرع ربنا.

بأن يعبد الشخص الله لايشرك به شيئاً، وإنما كفروا من لم يهاجر إليهم إذا لم يستطع إنكار المنكر ببلده، وكفروا من لم يوافقهم على تكفير المسلمين وقاتلوه، وكفروا من أسماهم خوارج وقاتلوه وجعلوه ساباً لدين الرسول! (وقد سبقت توثيقات الشواهد على هذه وأمثالها في كتب سلسلة الفتوحات العزمية)، إذن فهم من حيث التطبيق توسعوا في إطلاق الشرك وإطلاق الأحكام وإطلاق السيف.

الملحوظة الرابعة:

ثم ذكر ابن عبد الوهاب ص(٦) مسائل مستفادة من الحديث ومنها:

١- (العبادة هي التوحيد لأن الخصومة فيه).

الرأى يكذبون الرسول ولكن كان عندهم منهج فى التثبت يختلف عن منهج المحدثين فحسب، والاختلاف فى المنهج لا يبيح اتهام المتوقف بأنه يرد حديث الرسول.. فهو لا يسلم بأن هذا قول الرسول حتى يتهم برده، وإذا سلم بيقية الرواة فلا يسلم بحفظهم لهذا الحديث، أو نقله تاماً باللفظ والمناسبة والظروف.

لاشرك بالله شيئاً فلن يعاقبك على قتل الناس وظلمهم وأكل أموالهم؟! كلا.

بل نقول له: القرآن الكريم- قبل حديث الأحاد هذا- ينص على أن قاتل النفس المحرمة موعود بالنار كما فى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (سورة النساء: ٩٣)، فهل نترك الآية الصريحة لنقل سلسلة من رواة الحديث لا نأمن نسيان هذا أو وهم ذاك؟(١) ثم ابن عبد الوهاب نفسه وتيار الوهابية لا يكتفون

(١) نظراً للخصومة التى احتدمت بين أهل الحديث من جهة وأهل الرأى والمعتزلة من جهة أخرى، فقد صرفت هذه الخصومة أهل الحديث عن النقد الداخلى لمنهج المحدثين أنفسهم، واقتصر معظم النقد على السند، أما المتن فقد اقتصر نقده ومحاكمته على المنهج النظرى دون الممارسة العملية الواسعة، مع مبالغة أهل الحديث فى التشنيع على أهل الرأى وعلى من شك فى صدق راو قد وثقوه ولو كان توثيقهم فيه نظر عند مخالفيهم، وأصبحوا يرددون فى من عنده منهج متشدد فى محاكمة الشفويات المنقولة واتهامه بأنه يرد حديث رسول الله.. وأنه عدو السنة.. وأنه يكذب الرسول.. إلخ، وهذا غير صحيح فلم يكن أهل

قلنا: هذا قصر للعبادة ببعضها، لأن مخالفي ابن عبد الوهاب كانوا يقولوا: نحن لانعبد إلا الله فلماذا تكفروننا؟ فيقول لهم القول السابق، إذ يحصر العبادة في التوحيد، ثم يحصر التوحيد في قائمة طويلة من شروط لا إله إلا الله ونواقضها، بحيث يستحيل أن يبقى مخالفه مسلماً إلا إذا اتبعه على رأيه واجتهاده في التعريف المتشدد للتوحيد والشرك.. فبادئ الأمر يظنه طالب العلم صحيحاً، ولذلك نجد بعض العلماء كالأمير الصنعاني والشوكاني وغيرهم يشهدون أن ما يقوله ابن عبد الوهاب صحيح! لأن ابن عبد الوهاب وأتباعه من بعده عندما يراسلون هؤلاء العلماء يقولون لهم: نحن ندعو لعبادة الله وحده وترك الشرك! فلا يملك العلماء الآخرون إلا أن يقولوا: هذا دين الله ونحن معكم، وقد يكتبون ابن عبد الوهاب أو من بعده، وقد يمدحون شعراً ونثراً.. لكن لو علم هؤلاء العلماء أن كلمة (التوحيد) هنا لها عند الوهابية شروط طويلة عريضة دقيقة ونواقض كثيرة غير صحيحة لما أبدوا ابن عبد الوهاب.. ولذلك نجد الأمير الصنعاني

يرجع عن مدح ابن عبد الوهاب إلى نقده نقداً لاذعاً عندما أطلعه مرشد التميمي (وقد قتله الوهابيون في رغبة سنة ١١٧١هـ) على كتب ابن عبد الوهاب المطولة والمفسرة للإجمال الذي وصل الصنعاني.

- وخلاف العلماء مع ابن عبد الوهاب ليس في الدعوة للتوحيد والنهي عن الشرك- فهذا أمر لا يخالف فيه مسلم عامي فكيف بعلماء عصره في نجد والحجاز والعراق واليمن- وإنما خلافهم معه في هذه القوائم الطويلة من الشروط والنواقض التي يشترطها ابن عبد الوهاب في (التوحيد والسلامة من الشرك).

إذا فهمنا هذا جيداً عرفنا سبب معارضة العلماء له ومطاوعة العوام، وابن عبد الوهاب قد اشتكى أن مخالفيه هم من العلماء والخاصة وليسوا من العامة.

لأن العامة عامة إذا سمعوا حديثاً ولو ضعيفاً أو قول عالم ولو مبتوراً اعتقدوا ما فيه من ترغيب أو ترهيب، وانطلقوا يستعرضون المسلمين طويلاً وعرضاً.. لأن علماءهم قد قالوا لهم: إن هؤلاء مشركون شركاً أكبر من

شرك أبى جهل!!- كما كان يفعل ابن عبد الوهاب فى وصفه لمخالفيه من العلماء- (١). ثم إذا كان ابن عبد الوهاب يقصد بأن الخصومة بين الأنبياء والناس كانت فى التوحيد فقط فهذا غير صحيح، وهذا قصر للرسالة على بعض مادعت إليه، وإنما كانت هناك ذنوب كثيرة كان الناس يفعلونها فحذرت منها الرسل كالظلم، والتطيف فى الميزان، وقتل النفس المحرمة، وقد ألف ابن عبد الوهاب كتاب (مسائل الجاهلية، التى خالف فيها الرسول ﷺ أهل الجاهلية فبلغت أكثر من سبعين)، فكل ما نهى عنه القرآن الكريم كان فى بعض الكفار على الأقل.

أما إن قصد ابن عبد الوهاب أن الخصومة بينه وبين علماء عصره كانت فى التوحيد فقط فهذا أيضاً غير صحيح، فقد كانوا يخاصمونه فى مسألتين كبيرتين:

(١) سيأتى وصفه لأحد العلماء الحنابلة فى عصره بأنه أكفر من أبى جهل! وقد كرر كثيراً بأن الناس فى عصره فى نجد والحجاز زاد شركهم على شرك كفار قريش بخصلتين!

التكفير والقتال.

فالحاصل أن قصر ابن عبد الوهاب للعبادة فى التوحيد خطأ، وقوله بأن الخصومة كانت فى التوحيد فقط خطأ آخر، لكن هذين الخطأين لم يكن ليكتشفهما الأعراب والبدو فلذلك كانوا على حماسة كبيرة فى قتال المسلمين لأنهم يظنون- كما قال ابن عبد الوهاب - مشركين شركاً أكبر من شرك كفار قريش!

٢- وذكر ابن عبد الوهاب من تلك المسائل: (إن من لم يأت بالتوحيد لم يعبد الله...).

وهذا من حيث النظرية صحيح، لكن ليس الخلاف فى هذا بين ابن عبد الوهاب وعلماء عصره فى نجد والحجاز وغيرهما، إنما الخلاف فى معنى التوحيد الذى اشترط له ابن عبد الوهاب شروطاً طويلة ظنية أو خاطئة أو خالف فيها غيره من العلماء، فمن لم يأت بها فهو عنده مشرك وعندهم مسلم.

فنقل الخلاف من موضعه إلى موضوع ليس محل خلاف ففيه تلبيس بغض النظر عن الدافع هل هو الحماس

أو الاجتهاد والنية الصالحة أو الخصومة المفضية إلى
التظالم.

٣- وذكر ابن عبد الوهاب من تلك المسائل: (أن
عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت)

قلنا: وهذا صحيح وليس محل خلاف، لأن مخالفي ابن
عبد الوهاب لم يقولوا: نحن نؤمن بالله والطاغوت...
وإنما اجتهد ابن عبد الوهاب في وصف أشياء بأنها
طاغوت من توسل وممارسات أغلبها من وجهة نظره
خاطئ، ومخالفوه يقولون: (هذه بين مباحة أو مكروهة أو
محرمة، ولا يصح أن نقول فيها: إنها الطاغوت، ثم نرتب
على ذلك أن من لم يجعلها شركاً فهو مؤمن بالطاغوت
ويجب قتاله).

فأنتم تلاحظون أن الكلام العام لا خلاف فيه، وإنما
الخلاف عند تنزيل هذا الكلام العام في من لا يستحقه،
ومن هنا بدأ الافتراق بين ابن عبد الوهاب وعلماء نجد
في زمانه، ثم بينه وبين علماء الحجاز والعراق... ثم
اليوم بين الوهابية وبين العالم كله!

٤- وذكر منها: (أن الطاغوت عام في كل ما عبد من
دون الله)

نقول: وهذا صحيح، لكن هناك أموراً منها معنى
العبادة، وهل تأتي عبادة غير الله بالمعنى المجازي نتيجة
جهل أو تأويل؟ وعلى هذا فلا يجوز أن نكفر المقلدين
بدعوى أنهم اتخذوا علماءهم أرباباً من دون الله (كما يفعل
ابن عبد الوهاب مع مقلدى العلماء المخالفين له) ولو جاز
ذلك لجاز لنا أن نكفر من يستنكر علينا هذا البحث لأننا
سننتهمه بأنه اتخذ ابن عبد الوهاب رباً من دون الله!
فالإطلاق العام في بعض النصوص لا يؤخذ حسب
ظاهره، وإنما يجمع مع النصوص الأخرى المحذرة من
تكفير المسلم والمراعية لموانع التكفير كالجهل والتأويل
والإكراه والاضطراب.. ولو جاز لكل من طرح رأياً أن
يتهم من لم يتابعه بأنه يعبد علماء آخرين لما بقى مسلم
على وجه الأرض إلا اتهمناه بالكفر وعبادة غير الله.

الأمر الثانى: أن مخالفي ابن عبد الوهاب الذين كتب
هذا الكتاب في الاحتجاج عليهم ينازعونه في أن بعض

نقول: إذا كان ابن عبد الوهاب يقصد بالمسألة الحديث نفسه بأن أكثر الصحابة لا يعلمونه، لأن النبي ﷺ أمر معاذاً بكتمه فهذا صحيح، وإن كان يقصد أن المسائل التي تضمنها الحديث لا يعرفها أكثر الصحابة فهذا غير صحيح، بل هذه العلة من علل (متن الحديث) إذ لا يجوز لنبي أن يكتم عن أصحابه مسألة من أهم المسائل! ثم إذا كان أكثر الصحابة لا يعلمون هذه المسألة فكيف يريد ابن عبد الوهاب أن يعلمها كل المسلمين في عهده؟! ومن لا يعلمها فقد يكون تحت مطرقة التكفير.. ثم كيف نردد بأن الصحابة أعلم منا، ونحن نزعم أن أكثرهم لا يعلمون مسألة مهمة علمها أهل الدرعية؟!

تناقضات لا تنتهي

١- وذكر منها ابن عبد الوهاب من تلك المسائل (جواز كتمان العلم للمصلحة).
ويقصد أمر النبي معاذاً بكتم هذا الحديث، ولكن كيف جعله ابن عبد الوهاب أول دعوته؟ ثم هل كان ابن عبد

الأمر التي يسميها إيماناً بالطاغوت ليست كذلك، وإنما هي بين المباح والمكروه والمحرم والبدعة.. إلخ، وإن سلموا له بوجود شيء من الشرك الأصغر (الرياء مثلاً) في الأمة، فلا يسلمون له بأن ذلك الشرك عام كما يقو، فهو يزعم أن الشرك الأكبر قد عم البسيطة! وعاد الناس إلى عبادة اللات والعزى! وأنه ما من بلدة من بلدان نجد إلا وفيها صنم معبود من دون الله! وأن الشرك الأكبر قد أطبق على جزيرة العرب! وأن أكثر الناس في عهده بنجد والحجاز على إنكار البعث!... إلى غير ذلك من الأمور الكبيرة التي كان يطلقها.

فهم إن سلموا بوجود شرك فهم يرونه في أفراد وليس عاماً. مثلما اليوم لا نستبعد وجود شرك في بلاد المسلمين، لكن إن وجد فهو عند أفراد قليلين وليس عاماً، ولا نستطيع متابعة من يقول بأنه الشرك عام في المسلمين.

٥- وذكر من هذه المسائل: (أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة)!

الوهاب يرى أن مخالفه مسلمون ولكنه يكتفم هذا للمصلحة؟ ولأن الناس لن يتحمسوا لقتالهم إذا حكموا لهم بالإسلام؟ ثم إذا كان النبي ﷺ قد خشى على الصحابة أن يتكلموا فكتمه، فابن عبد الوهاب جعل من الحديث أن أكثر الناس يحبط ولا يتكل! ولو كان يريد النبي ﷺ من معنى الحديث ما فهمه ابن عبد الوهاب لأمر بكتمه حتى لا يحبط الناس وليس حتى لا يتكلموا!!

فهذا يبين لنا مدى انحراف فهم ابن عبد الوهاب للحديث لأنه قصر العبادة المذكورة في الحديث على التوحيد، ثم وضع للتوحيد شروطاً ونواقض كثيرة، بحيث تحول الحديث من داع إلى التواكل إلى داع إلى الإحباط. ثم الحديث كما قلنا إما أنه يخالف القرآن.. وإما أنه يتفق مع القرآن.

فإن كان يتفق مع القرآن فيجب أن نفسره تفسيراً لا يخالف ما في القرآن، فلا نحصر الرسالة في التوحيد، ولا نجعل للتوحيد شروطاً بحيث لا يدخل فيه إلا رأى تكفير المسلمين.

وإن كان يخالف القرآن الكريم فيجب تنزيه النبي أن يكون قاله، وأن نحمله أوهام الناس ونقولاتهم الشفوية عن بعضهم قبل التدوين، وما يمكن - عقلاً و عرفاً و واقعاً - أن يصاحب هذا النقل الشفوي من نقص لسبب واحد فقط وهو أن الرواة غير معصومين من الوهم والخطأ والنسيان.

فقد ينسى أحدهم لفظة واحدة تغير معنى الحديث، أو تؤثر في معناه بحيث يعود للاتفاق مع نصوص القرآن الكريم.

فبين معاذ بن جبل الراوى المباشر له وبين كل من البخارى ومسلم قرنان من الزمان، لا نأمن ألا يحدث أثناء تناقل الحديث وهم ولا خطأ ولا نسيان من أحد الرواة رغم توثيقهم فى الجملة.

وكم رأينا فى زمننا هذا من أناس لا نشك فى ثقافتهم وصلاحتهم وقد يهتمون فى النقل عن شخص، فكيف بالنقل عن شخص آخر عن ثالث عن رابع...؟

نحن هنا لا نقول برد الحديث إلا إذا تبين مخالفته

للقرآن الكريم، وأهل الحديث من حيث النظرية يعترفون في كل كتب المصطلح بأن الحديث قد يكون صحيح الإسناد باطل المتن إذا خالف القرآن الكريم ولم يمكن الجمع.

أما المعتزلة فيقولون: إذا خالف الحديث القرآن فلا نحتاج لتكلف الجمع، وإنما يتم رده وتقديم القرآن والجزم بأن الرواة قد أخطؤوا في النقل، وأن هذا ليس من كلام النبي ﷺ، لأن النبي لا يخالف القرآن الكريم.

إذن فسواء صححنا إسناد الحديث مع ممتنه، أو رددناهما لا يجوز أن نفهمه منفرداً مع إهمال النصوص الأقوى ولا سيما القرآنية.

والعقلية النقلية الحديثة للأسف لم تتعرض لنقد داخلية ذاتي من أهل الحديث أنفسهم.

٢- وذكر ابن عبد الوهاب من تلك الفوائد (جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض).

نقول: وهذه عند أهل الحديث محل نظر، لأنه لا يجوز كتم الأمة علماً تحتاج إليه، إنما يجوز كتمها علماً لا

تحتاج إليه، وهذه من الأشياء التي أخذها (منتقدو أهل الحديث) عليهم، وتحتاج لبحث.

٣- وذكر ابن عبد الوهاب في آخر هذه الفوائد المستنبطة من حديث معاذ (عظم شأن هذه المسألة).

نقول: وهذه من علل متن الحديث، فالنبي ﷺ لن يكتف الأمة شيئاً عظيماً ثم يأمر بكتمه... النبي ﷺ مبلغ للناس عامة، والإسلام ليس فيه سرية بل هو دين علني، ومن هذا الباب دخلت الباطنية وزعمت ما زعمت.

وبعض السلفية يخالفون هذا ويزعمون (كفر من زعم أن النبي ﷺ كتم أمراً عن الأمة)، فهل نصدقهم أم نصدق شيخهم ابن عبد الوهاب!!؟.

الملاحظة الخامسة:

عقد ابن عبد الوهاب الباب الأول ص (٩) (باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب) وأورد عدة أحاديث، ومنها حديث عبادة بن الصامت: (من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته

ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من عمل!!

قلنا: سنذكر هنا نموذجاً متقدماً فى نقد الأحاديث، وليس عليه أكثر أهل الحديث من الناحية التطبيقية وإن كانوا عليه من الناحية النظرية، وهذا التباين بين نظرية أهل الحديث وتطبيقهم أمر ملحوظ وسهل لمن امتلك ثلاثة أمور:

الأول: معرفة نظرية أهل الحديث (المصطلح مع علم العلل)، والعلم بهذه المسألة كثير بين طلبة علم الحديث خاصة.

الثانى: محاكمة إنتاج أهل الحديث (كتب الحديث) إلى النظرية التى وضعوها هم أنفسهم، وهذه نادرة الوجود إلا فى أحاديث مشهورة الضعف، أو تشهد لآراء خصوم أهل الحديث، وشذ من هذا الضعف التطبيقى للنظرية بعض الأفراد كالددار قطنى والألبانى(١) وأحمد الغمارى،

(١) الألبانى له تناقضات كثيرة، جمعها الشيخ حسن بن على

فضعفوا أحاديث فى الصحيحين أو أحدهما، مع استحياء وتردد.

الثالث: الشجاعة العلمية بحيث لا يخشى طالب العلم فى العلم لومة لائم، ولا حكم أحد من الناس عليه ببدعة أو ضلالة أو كفر، إنما عليه أن يخلص نيته لله ثم للحقيقة، ثم ليصدع بالحق الذى يراه، فالعلم قسماً، قسم معلومة، وقسم شجاعة فى طرح المعلومة.

ثم نقول: الحديث السابق الذى أورده ابن عبد الوهاب فى صحيح البخارى ولكن لا يصح نسبته إلى النبى ﷺ (١)، للأسباب التى سنوردها هنا.

السقاف فى كتابه (تناقضات الألبانى الواضحات فيما وقع له فى تصحيح الأحاديث وتضعيفها من أخطاء وغلطات) طبعة ١٩٩٢م- دار الإمام النووى بالأردن.

(١) نعى ما كل حديث صحيح الإسناد نجزم نسبته إلى النبى ﷺ لاسيما إذا كان ظاهره قاصراً عن معان مستوفاة فى القرآن الكريم كهذا الحديث، فصحة الإسناد لا تعنى صحة المتن، وصحة المتن تحتاج لقرائن أخرى من اتفاق المتن مع الخطوط العريضة لتعاليم الإسلام ومع

اجتناب تلك الكبائر، إذن فنسبته بهذا اللفظ إلى النبي ﷺ نسبة باطلة وإن كان في الصحيح.

نقد سند الحديث:

علة الحديث الرئيسية هو الوليد بن مسلم، فهو شامى دمشقى من موالى بنى أمية، ولم يكن أهل الشام أصحاب حديث ولا يهتمون به، ثم كونه مولى لبنى أمية هو مظنة الإرجاء، فقد عمل بنو أمية على نشر الجبر والإرجاء بالشام، والأهم من هذا كله ومما يدل على أنه علة هذا الحديث هو أنه متهم بالكذب فى الأسانيد، فهو يروى عن كذابين وضعفاء بينه وبين الأوزاعى، ثم عند روايته للحديث يحذف أسماءهم وقد يحذف شيوخ الأوزاعى الضعفاء ويجعل مكانهم ثقاة لأنه بزعمه (ينزه الأوزاعى أن يروى عن مثل هؤلاء الضعفاء والكذابين)! وقد اتهم بأنه أفسد حديث الأوزاعى.

ولندع ما ذكروا فيه من توثيق عام، ونذكر ما ذكروا فيه من جرح خاص. فقد قال فيه الإمام أحمد: (هو كثير

فظاهر الحديث أولاً مخالف للقرآن الكريم مخالفة صريحة... فلو أن مسلماً شهد بهذه الأمور ثم أساء السيرة وظلم الناس وسرق وزنا وأكل مال اليتيم وترك الصلاة والزكاة، والحج والصوم، وأتى محارمه وفعل الكبائر فمثل هذا نص القرآن الكريم على أنه يدخل النار لا الجنة.

ولذلك سبق أن كررنا: إننا اتخذنا القرآن مهجوراً... أصبح القرآن آخر ما نستدل به، ونثق بروايات منسوبة إلى النبي ﷺ، ولعل فى روايتها الواهم والناسى وكثير الخطأ، هذا إن سلمت من تعمد كذب لمصلحة أو سياسة أو مذهب أو رأى،...

ولا نحتاج فى مثل هذا الحديث أن ننظر فى الإسناد، وإنما يتم تذكر الآيات الكريمة التى تتوعد من يرتكب الكبائر بالنار، ثم ننظر للحديث فإذا هو لا يلزم منه

القرآن الكريم والعقل والأحاديث الصحيحة الأخرى، وتعدد المخارج التى ترجح اليقين بأن النبي ﷺ قال هذا... إلخ.

الخطأ). و(كان رفاعاً)!

وقال عنه مواطنه ومعاصره أبو مسهر الدمشقي الشامي (كان الوليد يأخذ من ابن أبي السفر حديث الأوزاعي، وكان ابن أبي السفر كذاباً وهو يقول فيها: قال الأوزاعي)!

وقال أبو مسهر أيضاً: (كان الوليد بن مسلم يحدث بأحاديث الأوزاعي يأخذها عن الكذابين ثم يدلّسها عنهم- أي يسقط أسماءهم-).

وقال الهيثم بن خارجة للوليد بن مسلم: (قد أفست حديث الأوزاعي...) ثم ذكر له كيف حدث ذلك بأن الأوزاعي يروى عن ضعفاء عن مثل الزهري، ونافع فيأتي الوليد ويحذف هؤلاء الضعفاء من الإسناد، فقال الوليد- ببرود- جواباً على هذه التهمة الخطيرة: (أنبل الأوزاعي أن يروى عن مثل هؤلاء)! ثم ذكر الهيثم أن الوليد لم يلتفت إلى نصيحته!

وقال الدارقطني: (الوليد بن مسلم يرسل ويروى عن الأوزاعي أحاديث، هي عند الأوزاعي عن شيوخ ضعفاء

عن شيوخ قد أدركهم الأوزاعي مثل نافع وعطاء والزهري فيسقط أسماء الضعفاء ويجعلها عن الأوزاعي عن نافع، وعن الأوزاعي عن عطاء والزهري...!!) وقال أبو داود: (روى الوليد بن مسلم عن مالك عشرة أحاديث ليس لها أصل)!.
وقال الحافظ ابن حجر: (ثقة لكنه كثير التدليس والتسوية) وأورده في كتاب المدلسين (١) في الطبقة الرابعة منهم وهي (التي اتفق على أنه لا يحتج بشيء من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع لكثرة تدليسهم عن الضعفاء والمجهولين)!.
قلنا: هذا الحديث عنن فيه الوليد فهو مظنة التدليس والتسوية، ولا يؤخذ عن الوليد إلا ما صرح فيه بالتحديث.

(١) المعروف باسم (تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس) والكتاب عليه ملحوظات، لكن كلامه في الوليد يتفق مع ما وصف به من التدليس الشديد، بل أفصح أنواع التدليس وهو تدليس التسوية.

التعبير - غائبة غياباً شبه كلى عن أهل الحديث، ولذلك يروون مثل هذا الحديث... الذى لا يقول بمضمونه مسلم لا محدث ولا معتزلى، لا الوهابية ولا مخالفوهم. ثم كيف نجزم أن البخارى ومسلم ينتقيان مطلقاً وتنتسى أنهما قد يهمان ويظنان فى حديث ما أنه من صحيح حديث فلان ثم لا يكون؟.. لا بد من برهان.

والخلاصة:

أن هذا الحديث الذى رواه البخارى - وتجنبه مسلم - حديث باطل لا يصح نسبه إلى النبي ﷺ لمخالفته القرآن الكريم متناً ولضعفه إسناداً. ثم كل الذين يكفروهم ابن عبد الوهاب يشهدون الشهادتين ويؤمنون بالخصال الموجودة فى هذا الحديث. ثم لو كان الشخص ملتزماً بشروطهم فى تحقيق التوحيد لكنه يرى تأويل الصفات، أو يرى التبرك والتوسل بالصالحين، أو بفضل علياً على أبى بكر أو نحو هذا لبدعوه واتهموه بالجهمية أو الشرك أو الرفض، فالخصال إذن المذكورة فى هذا الحديث لا يلتزمون بها،

وقد حاول الذهبى الدفاع عن الوليد وتدليسه (رغم اعترافه بأنه رديء التدليس!) بدعوى منتشرة عند المتأخرين من أهل الحديث فى كل ضعيف روى عنه البخارى أو مسلم فقال: (البخارى ومسلم قد احتجا به لكنهما ينتقيان حديثه ويتجنبان ما ينكر له)^(١)!

قلنا: أما كون البخارى ومسلم قد احتجا به رغم هذه الطوام، فهو دليل لنا بأن نقد المنظومة الحديثية له مبرراته حماية لجانب النبي ﷺ أن ينسب له ما لم يقل. وأما زعم الذهبى أن البخارى ومسلم ينتقيان من أحاديثه ويتركان المنكر منها فهذه دعوى يدحضها وجود هذا الحديث نفسه المخالف للقرآن الكريم. صحيح أن البخارى ومسلم من أفضل من ألف فى الأحاديث الصحيحة لكن العقلية القرآنية - إن صح

(١) راجع ترجمته فى تهذيب الكمال، وكذلك الكلام الذى نقلناه عن الرواة الآخرين أخذناه من تهذيب الكمال، وقد نزيد فى التعليق أو التحليل أو الاستنتاج.

وقصر الدين عليها خطأ، لأنها تتعلق بالإيمان اللسانى والقلبى دون العمل، وهذا إرجاء يذمه هؤلاء ذماً شديداً، بل اعتذر بعض السلفية المعاصرين عن تكفير الحنابلة لأبى حنيفة بزعمهم أن فيه نوعاً من الإرجاء (إرجاء أهل السنة العراقي كان يعنى التورع فى التكفير فى الجملة... ليس كالإرجاء الشامى التابع للسلطة والمسوغ لها)، وإرجاء الكوفيين الذين منهم أبو حنيفة أخف بكثير من أرجاء الشاميين (المرجئة الأصليين) فإرجاؤهم قبيح جداً (١).

وأخيراً:

هذا نموذج من نقد كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب أعطيناك أمثلة منه، وقس على ذلك باقى الكتاب الذى يظن غلاة الوهابية أنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (١)، وأثرنا أن نجمع أمر توحيدهم فى عدة ركائز فى الفصل القادم.

بيته!.

(١) وهم يفعلون هذا مع كل كتاب يرون أنه يدعم ما هم عليه من غلو أو تكفير أو نصب أو تجسيم، كما فعلوا من النشاء الكبير على كتاب السنة للبريهارى رغم غلوه الكبير، وفعلوا ذلك مع كتاب منهاج السنة لابن تيمية رغم ظهور النصب الفاضح أى: العدا لأهل البيت، فى هذا الكتاب، وفعلوا ذلك مع كتب الاعتقاد الحنبلية القديمة لما فيها من الحشو والتجسيم، وفعلوا هذا مع كتب ابن عبد الوهاب لنهاجها منهج التكفير، والنتيجة كانت فى البعد عن التحاكم للشرع الحنيف واتخاذ تلك الكتب مرجعاً فى الحكم على الناس، فأصبح المسلمون سواهم بين كفر وردة وضلالة، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وتواطؤهم هذا مع وجود من يسمع لهم بقوة فى المملكة هو شهادة إدانة بالغة للتعليم والمناهج عندهم.

(١) لأنهم يفصلون العمل عن الإيمان وهو يتماشى مع السلطة الأموية الظالمة، فلبقتلوا وبنهبوا ويسرفوا وينتهكوا الحقوق... فإذا أمنوا بكذا وكذا مسألة يدخلون الجنة من أى أبوابها شاءوا؟ وغلاة السلفية اليوم فيهم إرجاء فى الرضا التام عن السلفى ولو كان سيئ العمل، واتهام غير السلفى ولو كان صالحاً.. وهذا يكشف أن سلفية الوهابية لا علاقة لها بالسنة ولا السلف ولا حتى الحنابلة وإنما هى خليط من أربعة مذاهب رديئة وهى: الحشو والتشبيه والنصب والتكفير (الخوارج)، ومع هذا يصرون هؤلاء الغلاة على دعوة المسلمين السنة إلى السنة! وما أغرب أن يدعوك الشخص لغير بيته! فكيف إذا دعاك إلى بيتك لا

الفصل الثالث

ركائز التوحيد

فى مدرسة محمد بن عبد الوهاب

الركيزة الأولى (١)

إدعاء عودة الأمة إلى الشرك

أن الأمة فى عصر محمد بن عبد الوهاب قد ارتدت إلى الشرك، وأصبحت تحتاج إلى من يعيدها إلى التوحيد..

فمصر أصبحت بلاداً مشركة، حيث يوجد بها السيد البدوى والدسوقى والإمام الحسين وغيرهم، وأصبح المسلمون فى مصر عباد القبور، وكذلك سوريا والجزائر وباكستان وغيرها.

كيف تثبت مدرسة محمد بن عبد الوهاب ذلك؟

(١) خمس رسائل لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (الرسالة الرابعة).. دار الأصفهاني بجدة سنة ١٣٩٣هـ.

يقولون (١):

إن التوحيد الذى جاءت به الرسل إنما هو إثبات الإلهية لله وحده، والإله هو المألوه المعبود، وليس هو الإله بمعنى القادر على الاختراع كما يقوله المنسوبون إلى أبى الحسن الأشعري، وهم بذلك لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذى بعث الله به رسوله ﷺ، لأن مشركى العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شئ، وكانوا مع هذا مشركين، لأنهم لم يوحدوا الله فى العبادة، أى: أنهم وحدوا الله توحيد ربوبية ولم يوحدوا توحيد ألوهية، لذلك هم مشركون..

ويستدلون بآيات أربعة، هى: قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (يوسف: ١٠٦)، ﴿قُلْ لِّمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (المؤمنون: ٨٤-٨٥)، ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لابن عبد الوهاب.. الشرح تأليف عبد الرحمن آل الشيخ.. دار الفضيلة بالرياض سنة ١٤٢٣هـ.

السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ
(المؤمنون: ٨٦-٨٧)، ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ
وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾
(المؤمنون: ٨٨).

ثم يربطون بين هذا وبين حال المسلمين من عصر
محمد بن عبد الوهاب حتى اليوم، فإن المسلمين يوحّدون
الله توحيداً ربوبية كمشركي قريش تماماً، ولكنهم لم
يوحدوا الله توحيداً الوهية، وهو الذي جاء به النبي ﷺ.
بل إن مشركي مكة أهون شركاً من المسلمين اليوم!
كيف؟

يقول في شرح قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ﴾ (١) (الزمر: ٣٨): اعتقد عباد القبور والمشاهد
(يقصد المسلمين اليوم) نقيض ما أخبر به الله تعالى،
واتخذوهم شركاء لله في ربوبيته وإلهيته، وهذا فوق شرك
كفار العرب القائلين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ

زُفَى﴾ (الزمر: ٣)، ﴿هُؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ (يونس:
١٨)، فإن أولئك يدعونهم ليشفَعوا لهم ويقربوهم إلى الله،
وكانوا يقولون في تلبيتهم: (لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً
لك، تملكه وما ملك)، وأما هؤلاء المشركون (يقصد
المسلمين اليوم) فاعتقدوا في أهل القبور والمشاهد ما هو
أعظم من ذلك، فجعلوا لهم نصيباً من التصرف والتدبير،
وجعلوهم معاذاً لهم وملاذاً في الرغبات والرهبات
﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الطور: ٤٣)، (الحشر:
٢٣).

يقول مفتي الوهابية عبد العزيز بن باز (١): إن من
تحقق من محبة مشركي زماننا لآلهتهم التي يسمونها —
(الاولياء) يعلم يقيناً أنهم يحبونها أكثر محبة من محبتهم
لله، ويتصدقون لوجوهها بما لا يقدر أن يتصدقوا
بعشره لوجه الله.

وعلى هذا.. فهم يصورون أو يتخيلون أن محمد بن

(١) المصدر السابق/ ١٤٩.

(١) المصدر السابق/ ٩٧.

عبد الوهاب وُلِدَ والأمة الإسلامية كانت قد عادت إلى الشرك، فدعاهم إلى التوحيد فحاربوه كما حارب المشركون الأوائل رسول الله ﷺ، وفي النهاية نصره الله بفضل الأمير محمد بن سعود كما نصر نبيه محمداً ﷺ بأهل يثرب.

واليوم لا يوجد في العالم الإسلامي موحدون توحيداً صحيحاً إلا محمد بن عبد الوهاب ومدرسته، حيث إنه الذى قام برفع راية التوحيد كما قام الرسول ﷺ بنشر التوحيد بين المشركين.

وحين ننظر ونقارن نجد أنه:

١- قبل أن يمر مائة عام على هجرة الرسول ﷺ كان الإسلام قد انتشر فى أنحاء العالم، وصارت الدولة الإسلامية هى الدولة العظمى فى العالم، وصارت الأمم تابعة لها حضارياً وعلمياً وتكنولوجياً.

٢- قامت الدولة الأموية بالاتساع الأفقى للعالم الإسلامى، وأدخلت أرضاً شامخة إلى رقعة الإسلام.

٣- قامت الدولة العباسية برفع راية الحضارة الإسلامية فى جميع المجالات، وصارت بفضلها الحضارة الإسلامية هى النموذج الأول فى العالم.

٤- قامت الدولة السلجوقية ودولة المماليك ودولة الموحدين بتجديد شباب الإسلام حين ساد التمزق أرجاء العالم الإسلامى وبدأ ضعف الأمة، وبدأ الانقراض عليها من خلال الدولة البيزنطية بالحملات الصليبية ومن خلال دولة الأندلس.

وهنا قامت دولة السلاجقة فى العراق وفارس وآسيا الصغرى، ودولة الموحدين فى المغرب، ودولة المماليك فى مصر والشام، فتكونت قوة ضخمة جددت شباب الأمة وردت عن الإسلام القوى المعادية الثلاث: الصليبيين فى الشام، والفرنجة فى المغرب والأندلس، والتتار فى الشرق..

وقد نجحت هذه الدول فى التصدى لأعداء الإسلام والقضاء عليهم تماماً.

٥- وبعد قرون من قوة وبأس الأمة الإسلامية عادت

إلى الضعف والانقسام، ثم تجدد شباب الإسلام مرة أخرى في موجة من القوة تمثلت في الدولة العثمانية الشابّة التي حملت راية الإسلام من جديد في ظل عصر الوحدة الإسلامية العثمانية، والتي استمرت طيلة أربعة قرون ونصف في قوة حضارية متمكنة، استطاعت خلالها أن تقضى على الدولة المسيحية الشرقية وتستولى على القسطنطينية، بل وصار حكام البندقية في إيطاليا يدفعون الجزية إلى خليفة المسلمين في العاصمة العثمانية، وأدخلت الإسلام إلى قلب أوروبا.

ثم ضعفت الدولة العثمانية بعد ذلك حتى مزقها الغزو الاستعماري الغربي عقب الحرب العالمية الأولى.

٦- ثم كان أمل الأمة الإسلامية في القيادة الشابّة المستقلة في القرن العشرين وخصوصاً بعد ظهور البترول الذي وفر، لها من الإمكانيات المادية والسياسية ما يجعلها تنطلق لتصبح المركز الحضاري والثقافي والعلمي والتكنولوجي للعالم.

ولكن..

ما أن مرت السنون - وكما يقولون: العبرة بالنتائج - حتى وجدنا مدرسة ابن عبد الوهاب تحصر نفسها في بضع نقاط لا تخرج عنها، وتريد فرضها بكل ما أوتيت من قوة ومال، تلك النقاط التي تتحصر في تلك السطور التي كتبها محمد بن عبد الوهاب والمنشورة باسم كتاب (التوحيد الذي هو حق الله على العبيد) والذي أغرق العالم الإسلامي به على سبيل الهدايا والتوزيع المجاني، وتركت الدولة البترولية الأولى في العالم أسباب القوة التي أمر الله تعالى بها، والتي جاء بها نبينا سيدنا محمد ﷺ، حتى انتهى بها الحال إلى الوقوع في مصيدة اليهود والنصارى..

- إن الحكم بأن الشرك انتشر في أمة الإسلام وتصديق ذلك إنما هو تكذيب الرسول ﷺ الذي قال: (إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم)^(١)، كما قال ﷺ: (ألا وإني لست

(١) أخرجه أحمد والترمذي ومسلم عن جابر ؓ.

أخشى عليكم أن تشركوا، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها^(١).

نسأل الله تعالى أن تزول المحنة، وتمر الأزمة، وتفيق الأمة من غفلتها.

الركيزة الثانية

أن سيدنا محمدا ﷺ بشر كلفه الله برسالة فبلغها وأداها بكل أمانة، وبعد إتمام النعمة وكمال الدين مات، وبموته أصبح لا يفيد ولا ينفع ولا يضر، واتحصرت أهميته في اتباع ما جاء به من قرآن وسنة.. وينبى على ذلك:

١- أنه لا يجوز شد الرحال لزيارته.

٢- أنه لا يجوز الاستغاثة به ولا الاستعانة به ولا حتى طلب الشفاعة.

٣- أن محبته تنحصر فقط في محبة سنته واتباعها.

(١) أخرجه البخارى ومسلم والطبرانى وابن المبارك عن عقبة بن عامر رضي الله عنه.

٤- وهذا من باب أولى ينطبق على الأولياء والصالحين من المسلمين.

وهذه بعض النصوص الواردة عنهم:

أ- يقول ابن عبد الوهاب في كتاب (التوحيد الذى هو حق الله على العبيد) ^(١):

وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال: (لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله)..

ويرى أن معناه: لا تمدحونى فتغلوا فى مدحى كما غلت النصارى فى عيسى فادعوا فيه الإلهية، وإنما أنا عبد الله ورسوله، فصفونى بذلك كما وصفنى ربى، فقولوا: عبد الله ورسوله..

فأبى المشركون (يقصد المسلمين اليوم) إلا مخالفة أمره وارتكاب نهيه، وعظموه بما نهاهم عنه وحذرهم منه، وناقضوه أعظم مناقضة، وضاهوا النصارى فى

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد/ ١٩٥.

غلوهم وشركهم، ووقعوا في المحذور، وجرى منهم الغلو والشرك شعرا ونثرا ما يطول عده، وصنفوا فيه مصنفات.. فناقضوا الرسول ﷺ بارتكاب ما نهى عنه أعظم مناقضة، وشاقوا الله ورسوله أعظم مشاققة، وذلك أن الشيطان أظهر لهم هذا الشرك العظيم في قالب محبة النبي ﷺ وتعظيمه، وأظهر لهم التوحيد والإخلاص الذي بعثه الله به في قالب تنقيصه.. وهؤلاء المشركون (يقصد المسلمين اليوم) هم المتنقصون الناقصون، أفرطوا في تعظيمه بما نهاهم عنه أشد النهى، وفرطوا في متابعتهم، فعكس أولئك المشركون (يقصد المسلمين اليوم) ما أراد الله ورسوله علما وعملا، وارتكبوا ما نهى عنه الله ورسوله، فالله المستعان.

ب- يقول ابن قيم الجوزية في كلامه على آيات الشفاعة:

ومن أنواع الشرك: طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، فضلا عن

استغاث به وسأله أن يشفع له إلى الله.

ج- يقول ابن عبد الوهاب في كتابه التوحيد:

باب: ما جاء أن سبب كفر بنى آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين: وقول الله عز وجل: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ (النساء: ١٧١).

قال الشارح في "فتح المجيد"^(١): فكل من دعا نبيا أو وليا من دون الله فقد اتخذها إلها وضاهأ النصرى فى شركهم، وضاهأ اليهود فى تفریطهم.

ويقول ابن باز معلقا: فى "قرة العيون": وقد وقع ذلك الشرك فى العبادة فى هذه الأمة نظما ونثرا: كما فى كلام البوصيرى والبرعى وغيرهما، وفيما فعلوه من الغلو والشرك محادة لله ولكتابه ولرسوله.

ويقول ابن باز فى نفس المصدر السابق^(٢): فصارت

(١) فتح المجيد / ١٨٩.

(٢) فتح المجيد / ١٩١.

الأصنام بهذا التصوير على صور الصالحين سلماً إلى عبادتها، وكل ما عبد من دون الله من قبر أو مشهد أو صنم، أو طاغوت فالأصل في عبادته الغلو كما لا يخفى على أهل البصائر: كما جرى لأهل مصر وغيرهم، فإن أعظم آلهتهم أحمد البدوى، وهو لا يعرف له أصل، ولا فصل، ولا علم، ولا عبادة، ومع هذا صار أعظم آلهتهم، إنه لا يعرف إلا أنه دخل المسجد يوم الجمعة فبال فيه ثم خرج ولم يصل، فزين لهم الشيطان عبادته، فاعتقدوا أنه يتصرف في الكون ويطفئ الحريق وينجى الغريق، وصرفوا له الإلهية والربوبية وعلم الغيب، وفيهم من يسجد على عتبة حضرته.

وكان أهل العراق ومن حولهم - كأهل عمان - يعتقدون في عبد القادر الجيلاني كما يعتقد أهل مصر في البدوى، وعبد القادر من متأخرى الحنابلة، وغيره ممن قبله وبعده من الحنابلة أفضل منه في العالم والزهد.

وأعظم من هذا عبادة أهل الشام لابن عربى، وهو إمام أهل الوحدة الذين هم أكفر أهل الأرض، وأكثر من يعتقد

فيه هؤلاء لا فضل له ولا دين: كأناس بمصر وغيره. ويقول: فكم من عباد صالحين من الصحابة وأفاضل من العلماء الذين كان لهم قدم صدق في الإسلام مدفونون في مقابر مصر والشام وغيرها، هم أفاضل آلاف المرات من أمثال البدوى والدسوقى - بل نعالهم أشرف وأكرم من هذا البدوى وأضراجه - لا يعرفهم أولئك المشركون، فنسألك اللهم أن تعجل بهدم هذه الأوثان وتطهير الأرض منها كلها، تحقيقاً لما أمر به نبيك وبعث على به إلى اليمن، صيانة للتوحيد من قذر الشرك الذى أعظم أسبابه هذه القبور.

وهم بذلك يصلون إلى نتائج:

١- يضحمون بشرية رسول الله ﷺ وينتقصون من ﴿يوحى إلى﴾ (الكهف: ١١٠)، رغم أن كلمة ﴿يوحى إلى﴾ (الكهف: ١١٠) هى التى ميزت رسول الله ﷺ عن سائر البشر، وسمى بها إلى أعلى مقام ﴿دنا فتدلى﴾ * فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ (النجم: ٨-١٠).

الدهر، ترجمان القرآن، وارث الأنبياء، آخر المجتهدين،
تقى الدين أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام
بن تيمية الحراني تغمده الله برحمته: فصل فى أقسام
القرآن .. إلخ..

وهكذا فى غالب الفتاوى.

وفى غالب الأسئلة: سئل شيخ الإسلام أبو العباس تقى
الدين بن تيمية قدس الله روحه، بل الأعجب فى مدحهم
لبعض أمرائهم الزناة ولاعبى القمار وشاربى الخمر!!
٤- إذا كانت هذه نظرتهم للحبيب المصطفى ﷺ فإن
ما نراهم يفعلونه مع العلماء والأولياء من سب وشتم
وانتقاص يعد أمراً طبيعياً، فهم ينظرون إلى الكل على
أنهم بشر يموتون، وإذا ماتوا فلا فائدة ولا حس ولا خبر.

الركيزة الثالثة (الشفاعة)

يقولون: الشفاعة ملك لله تعالى، لا تطلب إلا منه دون
سواه، لأن ذلك عبادة وتألبيه لا يصلح إلا لله، لقوله تعالى:

٢- يقطعون الصلة القلبية بين الأمة وبين رسول الله
ﷺ، فالمحبة ليست هى الاتباع، ولكن الاتباع جزء من
آثار المحبة..

فالمحبة تشمل استيلاء المحبوب على قلب المحب،
وهذا حادث لكثير من الصحابة الذين كانوا يحبون رسول
الله ﷺ ملء قلوبهم، ولم يكونوا يستغنون عن مشاهدته
بالليل أو النهار.

أما الاتباع فهو أثر من آثار المحبة، فالاتباع دون
المحبة القلبية الخالصة يتحول إلى قوالب جامدة من
الأوامر والنواهي.

٣- يسمون النبى ﷺ بلفظ "محمد" هكذا مجرداً، بحجة
أنه قال: (.. لا تطرونى.. إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله
ورسوله)..

بينما نجدهم يطرون ابن تيمية: فى الفتاوى الكبرى
(الفتوى رقم ٣١٤) ما نصه: وقال الشيخ، الإمام،
العلامة، القدوة، الفقيه، الحافظ، الزاهد، العابد، السالك،
الناسك، مفتى الفرق، ركن الشريعة، عالم العصر، فريد

﴿قل لله الشفاعة جميعا﴾ (١) (٢) ..

ولأن الله تعالى مالك الملك، فاندرج فى ذلك ملك الشفاعة، فإذا كان هو مالكا بطل أن تطلب ممن لا يملكها..

ولذلك لا تطلب الشفاعة من أحد، ولا من سيدنا ومولانا محمد ﷺ، وإنما تطلب من الله.

والأسباب التى تنال بها الشفاعة هى تجريد التوحيد، لقول النبي ﷺ حين سأله أبو هريرة: (من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: (من قال: "لا إله إلا الله" خالصا من قلبه)(٣)، والله لا يأذن فى الشفاعة إلا لمن ارتضى، وهو لا يرضى من القول والعمل إلا توحيده وأتباع رسوله..

يقول ابن القيم:

١- أعظم الأسباب التى تنال بها الشفاعة تجريد

(١) الزمر: ٤٤.

(٢) باب الشفاعة من كتاب(التوحيد) لابن عبد الوهاب.

(٣) أخرجه البخارى عن أبى هريرة ﷺ.

التوحيد.

٢- ولا شفاعة إلا بإذن الله، وهو لا يأذن فى الشفاعة إلا لمن رضى قوله وعمله.

٣- ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، وهو لا يرضى من القول والعمل إلا توحيده وأتباع رسوله..

وهذه الثلاثة تقطع شجرة الشرك من قلب من علقها ووعاها(١).

ونتيجة ذلك: أنه لا تنفع الشفاعة إلا لمحمد بن عبد الوهاب ومن سار على نهجه!.

فرع من ذلك:

ويتفرع من ذلك: أن الاستعاذة بغير الله أو الاستغاثة بغير الله أو طلب المدد أو الدعاء، كل هذا شرك أكبر..

يقول ابن عبد الوهاب فى كتاب (التوحيد):

* باب: من الشرك الاستعاذة بغير الله: ويستدل بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ كَانَ رِجَالًا مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنْ

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد /١٨١.

الْجِنِّ فَرَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿الجن: ٦﴾.

* باب: من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره ويستدل بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ* وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ (يونس: ١٠٦-١٠٧).

وقوله تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾ (العنكبوت: ١٧).

ويستنتج محمد بن عبد الوهاب من ذلك أن الاستغاثة أو الدعاء أو الاستعانة بغير الله من الشرك، وأن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله، كما أن الجنة لا تطلب إلا منه، وأنه لا أضل ممن دعا غير الله.

ويستدل في ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ (١)، وقوله ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ

(١) يونس: ١٠٦

المُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (١)..

يقول شارح الآيات (٢): والاستغاثة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية (٣) من الأمور الحسية في قتال أو إدراك عدو أو سبع أو نحوه، وأما الاستغاثة بالقوة أو التأثير أو في الأمور المعنوية (٤) من الشدائد - كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه - فمن خصائص الله؛ لا يطلب فيها غيره.

ومن اعتقد أن لغير الله من نبي أو ولي أو روح أو غير ذلك في كشف كربة وغيره على وجه الإمداد منه أشرك مع الله؛ إذ لا قادر على الدفع غيره، ولا خير إلا خيره.

وفي هذا الباب وقع فكر ابن عبد الوهاب في الكثير من التخبط والتعارض والتناقض، والعجب كل العجب من

(١) النمل: ٦٢

(٢) فتح المجيد/١٤٧

(٣) الأشياء الطبيعية.

(٤) الأشياء التي هي فوق الطبيعة.

ذلك!!

إذا كان الله هو الشافي وهو المغيث وهو المستعان وهو المدعو فكيف للعبد أن يطلب الغوث من غيره؟! ويستعين بغيره؟! ويدعو غيره؟! وما الفرق بين الاستشفاء بالدواء والاستشفاء ببركة رقيا أحد المسلمين؟! وما الفرق بين طلب الغوث من الفقر بأحد الأغنياء وطلبه من التجارة؟! وما الفرق بين الاستعانة بالبشر والاستعانة بالمخترعات (كالبوصله)؟! وما الفرق بين الاستعانة بالنبى ﷺ وهو حى والنبى ﷺ وهو فى الرفيق الأعلى مع إيماننا بحياته البرزخية؟! سيجيبك فكر ابن عبد الوهاب بإجابات مختلفة وقد تكون مقنعة، ولكننا فى كل الحالات نستعين ونستغيث ونستشفى وندعو غير الله..

إذن.. لو كانت الدعوى صحيحة شرعاً لبطل الاستشفاء بالدواء، والاستعانة بأى مخلوق فى أى مجال ؛

١٢٣

فأمر الرسول ﷺ يقول: (إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله..) (أخرجه الترمذى)؛ فالمفهوم الحرفى لهذا ألا يسأل المسلم أى مخلوق مطلقاً غير الله تعالى، وألا يستعين بأى مخلوق مطلقاً غير الله تعالى..

وهذا غير مراد الشارع؛ فكل هذه الأسباب، وهى مخلوقة لله تعالى، وليس لها تأثير ذاتى، إنما السبب الأول والمؤثر هو الله تبارك وتعالى .. بل إنه فى الأمور التى يجيز فيها فكر ابن عبد الوهاب الاستعانة بالغير- مثل الاستعانة بالغير فى سبيل الضحك، والاستعانة بالطعام لرد الجوع، والاستعانة بالمواد الكيماوية لإصلاح تلف الأعضاء الجسمية- فى كل هذه الأمور يجب أن تكون عقيدة المؤمن أن الله تعالى هو الذى أضحك وهو الذى أبكى، وهو الذى أشبع وهو الذى يشفى، فهو فى الحقيقة المؤثر بذاته، أما باقى المخلوقات والجمادات والنباتات فهى مؤثرة بما فيها من خواص أودعها الله فيها..

فإنه تبارك وتعالى أراد أن تجرى الأمور بالأسباب، والأسباب لها تأثير وتأثر على مستوى الحوادث

١٢٤

الطبيعية..

فحين يعتقد المؤمن بمثل هذه التأثيرات للأشياء يجعل الله تعالى ذلك فيها، فهذا ليس من الشرك في شيء بل هذا يتفق مع روح التوحيد.

وحين يعتقد المؤمن بقدرة ما فوق القوانين العادية الطبيعية- سواء كانت لملائكة أو لنبي أو ولي- هل هذا من الشرك؟! من الشرك؟!!

وعجباً لمدرسة ابن عبد الوهاب في أمرين:

أولاً: أنها تفرق بين الأشياء الطبيعية وبين ما فوق الطبيعة، فتعتقد أن الأشياء الطبيعية لها تأثيرها الفعال ولها استقلال ذاتي، أما الأشياء فوق الطبيعية فلا تأثير لها!

وهم قد قسموا الأعمال وتأثيرها نصفين: فالأمور التي ما وراء الطبيعة لله تعالى، والأمور الطبيعية جعلوا تأثيرها للمخلوقات! أليس هذا شركاً؟!!

ثانياً: أنها تنظر إلى الإنسان نظرة مادية بحتة، فتري أن الإنسان كأنه جسد فقط؛ يموت فينقلب إلى جماد لا

حراك له ولا أثر..

وهذه فكرة مادية بحتة تتعارض مع عقيدتنا الإلهية.

أما نحن.. ففي هذين الأمرين نؤمن بـ:

أولاً: أن جميع الموجودات الطبيعية أو ما فوق الطبيعة ليس لها استقلال ذاتي، ولا تستند في تأثيرها إلى نفسها بل كل ما يصدر لها من تأثير فهو مستند إلى الله تعالى، والله تعالى يجرى فيوضاته عن طريق الأشياء كما يجرى فيوضات الوحي والعلم بواسطة جبريل وفيوضات الرزق بواسطة ميكائيل..

فهل هذا الاعتقاد شرك بالله تعالى؟!!

فمن يساعدني في رزقي ليس هو الرزاق، ومن أستعين به في حول أو قوة ليس هو صاحب الحول والقوة، ومثل ذلك من ألتمس منه يدعو لى الله لصدقه وقوة يقينه ومن أستشفع به..

ففي كل هذا: الرزاق الحقيقي هو الله تعالى، وصاحب الحول والقوة هو الله تعالى، والمدعو المستعان به هو الله تعالى.

مع الغير؛ فالمخالفون لهم مشركون وكفار وضالون ومضلون..

وهذا من عجائب أفكارهم ومخالفتهم لسلف أمة الإسلام، بل ومخالفتهم للنبي ﷺ: فالرسول كان يقر المسلمين فيما اختلفوا فيه من آراء فقهية (١)..

وحين تفرق الصحابة رضى الله عنهم فى البلاد الإسلامية كان كل منهم أستاذاً فى بلد من البلاد، وله مدرسته الخاصة به: فابن مسعود ؓ نواة مدرسة الرأى التى أنجبت أبا حنيفة. وابن عمر - رضى الله عنهما - نواة مدرسة الحديث التى أنجبت مالك وابن حنبل.

ونجد آراء الصحابة المختلفة وآراء التابعين المختلفة فى كثير من الأمور الدينية بل والعقيدة. بينما نرى مدرسة محمد بن عبد الوهاب ترى خلاف هذا..

(١) نحو أمره ﷺ بصلاة العصر فى بنى قريظة، واختلافهم فى تنفيذ الأمر، وموافقة الرسول ﷺ لكلا الرأيين.

ثانياً: أننا نؤمن أن الإنسان جسد وله روح هى حقيقة نورانية سرت فى الجسد حين كان عمره مائة وعشرين يوماً فى بطن أمه، نفخها الله بنفسه أو بواسطة ملك كما قال القرآن (١).

وكما وردت بذلك الأحاديث الصحاح (٢) فإذا مات الجسد صار تراباً (٣) لا حراك فيه ولا حياة. ولكن هذه الجوهرة الربانية المسماة بـ(الروح) لا تموت وتظل حية حياة برزخية إلى أن تقوم الساعة..

أحين يخاطب المؤمن روح نبيه سيدنا ومولانا محمد ﷺ يصير مشركاً؟!!!

الركيزة الرابعة

عدم التهاون مع المخالفين فى الرأى

فلا يجوز لمدرسة محمد بن عبد الوهاب أن تتعاشش

(١) ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ .. الأنبياء: ٩١

(٢) (ثم ينفخ فيه الروح).. رواه السنّة عن ابن مسعود ؓ .

(٣) إلا أجساد الأنبياء والشهداء وأمثالهم.

ولنضرب لذلك بعض الأمثلة:

(١) يقول الأستاذ المحدث الشهير (١) محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني في كتابه (تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد):

إن من اعتقد في شجر أو حجر أو قبر أو ملك أو جنى أو حى أو ميت أنه ينفع أو يضر، أو أنه يقرب إلى الله، أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به والتوسل إلى الرب تعالى فإنه قد أشرك مع الله غيره، واعتقد ما لا يحل اعتقاده كما أعتقد المشركون فى الأوثان، فضلاً عن يطلب ما لا يطلب إلا من الله تعالى من الحاجات من عافية مريض أو قدوم غائب أو نيل مطلب من المطالب؛ فإن هذا هو الشرك بعينه الذى كان عليه عباد الأصنام.

هكذا أطلق الأستاذ الشهير العنان لأى واحد أن يتهم كل المسلمين بالشرك والكفر!

(١) هكذا على غلاف الكتاب!

ويقول: وكذلك تسمية القبر (مشهداً) ومن يعتقدون فيه ولياً لا يخرج عن اسم الصنم أو الوثن؛ إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأصنام..

فأهل العراق والهند يدعون عبد القادر الجيلانى، وأهل مصر يقولون: يا رفاعى.. يا بدوى.. وهو بعينه فعل المشركين فى الأصنام.

ثم يقول: وهؤلاء المشركون يجب دعاؤهم إلى التوحيد والأبانة أنهم مشركون، فمن رجع وأقر حقن عليه دمه وماله وذريته، ومن أصر فقد أباح الله منه ما أباح لرسوله من المشركين.

هكذا نرى كيف يرون مخالفيهم!

(٢) ويقول عبد العزيز بن باز (١): اقرأ كتب الشعرانى و(الإبريز) للدباغ، وكتب التيجانية وغيرها، من كتب أولئك الضالين المضلين تجد الشرك الذى ما كان

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.. دار الفضيلة سنة ٢٠٠٣م.

يخطر على بال أبى جهل وإخوانه، لأنهم لم يكونوا بوقاحة هؤلاء وفجورهم.

ولا نجد تعليقا على هذا المستوى المتدنى من الأخلاق. ويقول ابن باز أيضا: (١) وهى التى يسميها الناس اليوم (الموالد والذكريات التى ملأت البلاد باسم الأولياء، وهى نوع من العبادة لهم وتعظيمهم، ولذلك لا يذكر الناس ويعرفون إلا من أقيمت له هذه الذكريات ولو كان أجهل خلق الله وأفسقهم، وقد امتلأت البلاد الإسلامية بهذه الذكريات وعمت بها المصيبة، وعادت بها الجاهلية إلى بلاد الإسلام، ولم ينجح منها إلا نجد والحجاز - فيما نعلم - بفضل الله ثم بفضل آل سعود الذين قاموا بحماية دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ثم يقول: وقد أحدث هؤلاء المشركون أعيادا عند القبور التى تعبد من دون الله ويسمونها (عيداً): كمولد البدوى بمصر وغيره، بل هم أعظم؛ لما يوجد فيها من

(١) نفس المصدر السابق: باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله.

الشرك والمعاصى العظيمة.

ويقول عبد العزيز بن باز فى تعريف السيد البدوى(١):

أحمد البدوى بطنطا، لا يعرف له تاريخ صحيح، واضطربت الأقوال فيه، والمشهور أنه كان جاسوساً لدولة الملتمين، وكان داهية فى المكر والخديعة، وقبره أكبر الأصنام فى الديار المصرية. مثل هبل الأكبر أو اللات فى الجاهلية، يؤتى عنده من أنواع الشرك الأكبر... ويقام له كل عام ثلاثة موالد، يشد الرحال إليها الناس من أقصى القطر المصرى، ويجتمع فى المولد أكثر من ثلاثمائة ألف حاج إلى هذا الصنم الأكبر، عجل الله بهدمه وحرقه هو وغيره من كل صنم فى مصر وغيرها.

(٣) ويقول ابن القيم (٢):

لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة

(١) نفس المصدر السابق / ١٣٨

(٢) نفس المصدر السابق / ٢٣٦

على هدمها وإبطالها يوماً واحداً، وكذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور والتي اتخذت أوثاناً تعبد من دون الله، والأحجار التي تقصد للتبرك والندى؛ لا يجوز إبقاء شئ منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة أو أعظم شركا. ومثل هذه النصوص كثيرة، نحيل القارئ إليها، وهي تبين حال مدرسة ابن عبد الوهاب مع مخالفاتهم!!

الركيزة الخامسة

أسلوبهم في فهم النصوص

وتمتاز مدرسة محمد بن عبد الوهاب بالنسبة للنصوص بميزات، أهمها ما يلي:
الأولى: تطبيق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي نزلت في المشركين على المسلمين اليوم، وهي خاصة تميزت بها الفرق الضالة(١)..

(١) المجال لا يتسع لذكرها، ويمكن الرجوع إليها في كتبهم.

ونرى ذلك في النصوص الأساسية التي ذكرها كتاب (التوحيد) (١) وغيرها من النصوص التي وردت في فكرهم:

١- قول الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (٢)..

يطبقونها على المسلمين، ويستندون إليها في أنها نزلت في الأمة الإسلامية عامة..

بينما حين تقرأ الآيات كاملة تجدها نزلت في مشركي مكة!

٢- وقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُتَّبِعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٣)

(١) لمحمد بن عبد الوهاب، وهو أساس فكر مدرسة محمد بن عبد الوهاب.

(٢) سورة يوسف: ١٠٦

(٣) سورة يونس: ١٨

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (١) ..

فيطبقون هذه الآيات على أمة الإسلام ليخرجوهم إلى حظيرة الشرك والكفر.

٣- قول النبي ﷺ: (لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى) (٢) ..

وحين نقرأ الحديث حتى آخره نجده يذكر حال الخلق حين تقوم القيامة، ولكنهم يستندون إلى الحديث في إثبات أن أمة الإسلام عادت إلى الشرك والكفر!

٤- وقوله تعالى: ﴿فَمَا تَتَفَعَّهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (٣) وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَاوِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٤) وقوله تعالى ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً﴾ (٥)

(١) سورة الزمر: ٣

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) سورة المدثر: ٤٨

(٤) سورة التوبة: ٧٤

(٥) سورة الزمر: ٤٤

والتي نزلت في المشركين.. يستندون إلى هذه الآيات وأمثالها لنفى طلب الشفاعة من المخلوقين ولو كان النبي محمد ﷺ!

٥- وقوله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ (١) ..

يستندون إلى الآية في إثبات أن النبي ﷺ لا يملك لأمته ضراً ولا رشداً، فمن قال: (يا محمد) فقد خالف الله ورسوله وكفر، لأنه جعل النبي يملك له ضراً ورشداً.

٦- قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ * وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا * قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ (٢)، وحديث (من سره أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده في النار) (٣) ..

فيثبتون بذلك أن القيام أدباً لأى مخلوق يعد شركاً،

(١) سورة الجن: ٢١

(٢) سورة الجن: ١٨-٢٠

(٣) أخرجه الترمذى.

وأن نداء أحد من المخلوقين شرك؛ لأن هذا من تعظيم الله تعالى.

٧- قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ فِي النَّاسِ بِالْحَقِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ (١).

فيثبتون بالآية أن السفر إلى روضة النبي ﷺ ومشاهده وآثاره، وكذا روضة أى نبي أو ولي إنما هو شرك أكبر؛ لأن الله خصص تلك الأمور لذاته.

٨- الآيات التي نزلت في علم الغيب: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ (٢) ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (٣) ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ (٤) ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ (٥) ..

(١) سورة الحج: ٢٧

(٢) سورة الأنعام: ٥٩

(٣) سورة النمل: ٦٥

(٤) سورة لقمان: ٣٤

(٥) سورة الأعراف: ١٨٨

يقولون: إن علم الغيب من اختصاص الله، وينفى عن غيره، وأن من أثبته لغير الله- كنبى أو ولي أو ملك أو جنى- فقد أشرك بالله شركاً أكبر.

فى حين أن الآيات تدل على الآتى:

أ- أن علم الغيب مختص بالله تعالى ومنفى عن غيره، ولا علاقة لها بالشرك!

ب- أن هناك الغيب المطلق (غيب الذات) وهو الخاص بالله تعالى لا يعلمه إلا هو، وهناك الغيب الإضافى (غيب الشئون)، وهو ما يثبت فى اللوح المحفوظ ثم يتنزل إلى السماء الدنيا أو إلى عالم الواقع، فيعلمه من يرتضيه الله تعالى؛ مصداقاً لقوله تبارك تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ (١) وقوله ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (٢).

(١) سورة الجن: ٢٦

(٢) سورة آل عمران: ١٧٩

٩- قول النبي ﷺ لابن عباس رضى الله عنهما: (إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله) (١) وقوله ﷺ: (إنه لا يستغاث بي) (٢) ..

يستندون إلى ذلك فى إثبات أن من سأل غير الله تعالى أو استعان به أو استغاث به ولو كان نبياً فقد أشرك شركاً أكبر.

ولكننا نجد هناك عشرات الأحاديث التى تخالف هذا، مثل: حديث صلاة الحاجة للصحابى الضرير عثمان بن حنيف رضي الله عنه (٣)، وحديث (يا عباد الله.. أعينوني) (٤)، والأحاديث التى وردت فى إعانة الملهوف وابتغاء الرزق عند غير الله تعالى على وجه المواساة... إلخ.

(١) أخرجه الترمذى.

(٢) أخرجه الطبرى عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الحاكم فى مستدرکه وقال: (صحيح الإسناد)، والترمذى

وابن ماجة والنسائى وغيرهم.

(٤) أخرجه الطبرانى والبزار والهيثمى وغيرهم، وحسنه الحافظ

ابن حجر.

أما قوله ﷺ: (إذا سألت فاسأل الله) فهو إما حديث للخاصة، أو به محذوف، وأصله (إذا سألت فلانا سؤالا فاسأل الله أن يوفقه للإجابة) كقوله تعالى: ﴿واسأل القرية﴾ أى: أسأل أهل القرية.

١٠- قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (١)

وقوله ﷺ: (يا بنى كعب بن لؤى.. أنقذوا أنفسكم من

النار؛ فإنى لا أملك لكم (أو: لا أغنى عنكم) من الله شيئاً)

(٢) وقوله ﷺ: (يا فاطمة.. أنقذى نفسك من النار، سلىنى

من مالى ما شئت؛ فإنى لا أغنى عنك من الله شيئاً) (٣) ..

ويثبتون بذلك عدم نفع النبى ﷺ لأحد ولا لأهل بيته!!

وهذا افتراء؛ لأن النبى ﷺ ينفع أهل بيته وينفع أمته بل

وينفع المؤمنين والكافرين؛ فشفاعة الموقف تنفع الخلق

جميعاً مسلمهم وكافرهم، وشفاعة المغفرة لعموم

(١) سورة الشعراء: ٢١٤

(٢) أخرجه مسلم والنسائى عن أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم.

المسلمين، وشفاعة التخفيف لبعض الكفار..

وهناك مواطن لا يكون فيها شفاعة إلا للنبي ﷺ،
وهناك مواطن يفتح فيها باب الشفاعة لأهل الشفاعة الذين
يرضى الله عنهم ويأذن لهم.

١١- قال تعالى: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ
وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (١) أي
أن السجود لغير الله شرك أكبر..

في حين أن جمهور أهل السنة يرون أن الشرك يقع
إذا كان السجود سجد عبادة، أي إذا اعتقد الساجد
معبودية المسجود له وألوهيته، أما سجدة التحية فقد كانت
جائزة في الشرائع السابقة (كسجود أخوه يوسف ليوسف)،
وصارت محرمة في شريعتنا، فمن سجد سجود تحية لغير
الله فقد أتى بحرام في شرعنا، ولكن لا يحكم عليه بأنه
أشرك شركاً أكبر كما يقولون.

وهكذا نرى أن مدرسة محمد بن عبد الوهاب لم تورد

(١) فصلت: ٣٧.

الآراء المختلفة في النص ثم تختار منها واحداً، وإنما هي
أخذت من النص ما يؤيد وجهتها ولو بلى عنق النص
تحكماً وتعسفاً، ورفضت أى مفهوم آخر لا يتطابق أو
يؤيد ما ارتأته من اتهام المسلمين بالشرك والكفر.

الثانية: اللجوء إلى الانتقاء في الأحاديث الشريفة بما
يخدم وجهتهم وآراءهم..

فما يؤيد فكر مدرسة ابن عبد الوهاب يؤخذ به ويقوى
ولو كان رأى صحابى، وما يخالف فكرهم يتجاهلونه ولو
كان حديثاً للنبي ﷺ والحكم عليه بواحدة من اثنتين:

١- تجاهله وعدم ذكره.

٢- أو بذل أكبر الجهد وكل الحيل فى سبيل تضعيفه
والتشكيك فى سنده وروايته.

وإليك قطرة من أمثلة؛ حيث لا يتسع المجال لذكر كل
هذه الأحاديث..

- ما استند إليه ابن عبد الوهاب فى كتابه (التوحيد)
رغم أنه قول صحابى:

١- عن ابن عباس فى تفسير ﴿وَلَا تَذَرْنِ وَدًا وَلَا

سُوعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿١﴾ أنهم رجال صالحون.

٢- قال عمر: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان. وقال جابر: الطواغيت كهان كان ينزل عليهم الشيطان.

وعن بجالة بن عبيدة قال: كتب عمر بن الخطاب أن: اقتلوا كل ساحر وساحرة.

٣- عن أبي هريرة: من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد اشرك، ومن تعلق شيئاً وكل إليه.

٤- قال قتادة (وهو من التابعين): خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتطلع ما لا علم له به.

٥- قال ابن عباس: من أحب في الله وأبغض في الله، ووالى في الله وعادى في الله، فإنما تتال ولاية الله بذلك.

٦- عن ابن عباس في قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ

الْأَسْبَابُ﴾ (١) قال: المودة

٧- قال ابن مسعود: اليقين: أن لا ترضى الناس بسخط الله.

٨- عن ابن عباس قال: (حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ (٢).

٩- عن ابن مسعود قال: أكبر الكبائر: الإشراف بالله والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله.

١٠- قال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً.

١١- قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله: كعبد عمر وعبد الكعبة وما أشبه ذلك، حاشا

(١) سورة البقرة: ١٦٦

(٢) سورة آل عمران: ١٧٣

(١) سورة نوح: ٢٣

عبد المطلب.

١٢- ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس: ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ (١) يشركون.. وعنه: سموا اللات من (الإله)، والعزى من (العزير).

١٣- قال ابن عمر: والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً ثم أنفقه في سبيل اله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر.

١٤- عن ابن عباس قال: ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم.

١٥- عن ابن مسعود قال: بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شئ من أعمالكم.

- ما أسند إلى النبي ﷺ واستندوا إليه وهو ضعيف:

(١) سورة الأعراف: ١٨٠

١- عن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: (دخل الجنة رجل في نباب، ودخل النار رجل في نباب...) الحديث..

قال ابن عبد الوهاب في كتابه (التوحيد) في باب: ما جاء في الذبح لغير الله: رواه أحمد.

والحديث لا يوجد في مسند الإمام أحمد!!

٢- روى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذى المؤمنين، فقال بعضهم: (قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق) فقال النبي ﷺ: (إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث الله)..

استندوا إليه في العقيدة، رغم قول المحقق: (مجمع الزوائد)، وقال: رواه الطبراني، وفيه ابن لهيعة: متكلم فيه.

٣- يروى ابن تيمية حديثاً بعدما حرفه وزاد ألفاظاً فيه!! الحديث في رواية ابن تيمية في (مجموع الفتاوى): (ما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه)، ذكره في كتبه مرات عديدة.

ولكن صحة الرواية التي لم ترد إلا عند الحافظ ابن عبد البر في (الاستنكار): (ما من أحد مر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام)..

زوره ابن تيمية وزاد لفظ (إلا رد الله عليه روحه) ليثبت أن حديث رد الروح لسيدنا محمد ﷺ كلما سلم عليه أحد أمر عادي لكل الأموات!!

٤- حديث رسول الله ﷺ حين قال أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (قوموا إلى رسول الله ﷺ نستغيث به من هذا المنافق) فقال ﷺ: (إنه لا يقام لى، إنما يقام لله عَزَّ وَجَلَّ)..

والحديث أخرجه أحمد وابن سعد، وفيه علتان: أ- أن فيه راوياً لم يسم.

ب- تفرد به ابن لهيعة.

وأيضاً: قد ورد بلفظ آخر يدل على اضطراب ألفاظه: (إنه لا يستغاث بى، إنما يستغاث بالله عَزَّ وَجَلَّ).

فالحديث منكر مضطرب وضعيف، وابن لهيعة تركه البخارى وابن خزيمة وغيرهما.

نماذج لأحاديث ضعفوها أو كذبوها وهى قوية:

١- حديث السيدة فاطمة رضى الله عنها (إن الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك).. قال ابن تيمية فى رده على ابن المطهر فى منهاجه: هذا كذب.

ونجد أن الحديث ورد فى (الأحاد والمثانى)، ورواه أبو يعلى والحاكم فى (المستدرک) والطبرانى فى (الكبير) وابن عساکر فى (تاريخ دمشق)، وحسنه الهيتمى فى (مجمع الزوائد).

٢- قال ابن تيمية فى مجموع فتاويه بخصوص زيارة روضة النبى ﷺ: وأما الزيارة البدعية، وهى زيارة أهل الشرك من جنس زيارة النصارى الذى يقصدون دعاء الميت والاستعانة به وطلب الحوائج عنده، فيصلون عند قبره ويدعون به؛ فهذا ونحوه لم يفعله أحد من الصحابة، ولا أمر به رسول الله، ولا استحبه أحد من سلف الأمة وأئمتها.

وبذلك يزيح ابن تيمية مئات الأحاديث عن الصحابة والتابعين وتابعيهم والتي تخالف منهجه.

وقد قال جل المفسرين: أن الآية ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (١) ليست مختصة بحياته الدنيوية، بل تمتد إلى حياته البرزخية، فيجوز إتيان روضة النبي ﷺ وطلب استغفاره (٢).

٣- كل الأحاديث التي وردت في زيارة روضة النبي ﷺ، مثل: (من زار قبري وجبت له شفاعتي) (٣) (من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي) (٤) (من زار قبري كنت له شفيعا) (٥).. يقول ابن تيمية في

(١) سورة النساء: ٦٤

(٢) انظر تفسير القرطبي والثعالبي وابن كثير والنسفي وغيرهم، وانظر آراء أئمة المذاهب الأربعة.

(٣) أخرجه ابن عدي في (الكامل) والبيهقي في (شعب الإيمان) والدار قطني وابن خزيمة وابن أبي الدنيا والبخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه الطبراني والبيهقي وابن عدي عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) أخرجه الطبراني والبيهقي وأبو داود الطيالسي عن عمر ﷺ.

الفتاوى الكبرى: وأما إذا كان قصده بالسفر زيارة روضة النبي دون الصلاة في مسجد فهذه المسألة فيها خلاف، والذي عليه الأئمة وأكثر العلماء أن هذا غير مشروع ولا مأمور به.

وهذا القول لابن تيمية غير صحيح ومخالف للحق؛ فإن الذي عليه الأئمة وأكثر العلماء أن هذا سنة من السنن..

قال القاضي عياض في (الشفاء) وهو من السلف: وزيارة قبره ﷺ سنة من سنن المسلمين مجمع عليها، وفضيلة مرغوب فيها.

وقال ابن هبيرة الحنبلي في كتابه (اتفاق الأئمة) (١): واتفقوا على استحباب زيارة قبر المصطفى ﷺ وصاحبيه المدفونين عنده - أبي بكر وعمر رضي الله عنهما - وندبوا إليه.

(١) طبع حديثاً باسم (الفقه على المذاهب الأربعة).. من منشورات دار الحرمين.

وقال الشوكاني في (نيل الأوطار): وزيارة قبره ﷺ من السنن الواجبة.

وقال العلامة السبكي في كتابه (شفاء السقام في زيارة خير الأنام): نصوص العلماء على استحباب زيارة روضة سيدنا رسول الله ﷺ، وبيان أن ذلك مجمع عليه بين المسلمين.. ثم جاء بنصوص العلماء. وهناك مئات النصوص من أقوال الفقهاء والعلماء في هذا الباب، خصوصاً الفقهاء والأئمة.

٤- عن مالك الدار- وكان خازن سيدنا عمر على الطعام- قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: (يا رسول الله.. استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا) فأتى الرجل في المنام ف قيل له: (إئت عمر فأقرئه السلام وأخبره أنكم مسقون، وقل له: عليك الكيس الكيس)، فأتى عمر فأخبره، فبكى عمر ثم قال: (يا رب.. لا آلو إلا ما عجزت عنه)..رواه ابن أبي شيبة والبيهقي في (دلائل النبوة) وابن عساكر في (تاريخ دمشق)، وصححه الحافظ ابن حجر العسقلاني في (فتح

الباري)، وابن كثير في (البداية والنهاية) وابن جرير الطبري في تاريخه، وابن عبد البر في (الاستيعاب).

٥- روى الدارمي في سننه: باب: ما أكرم الله تعالى نبيه ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، والحديث عن أوس ابن عبد الله قال: قحط أهل المدينة قحطاً شديداً، فشكوا إلى عائشة، فقالت: انظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كوى إلى السماء؛ حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف.. قال: ففعلوا، فمطرنا مطراً حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم، فسمى عام (الفتق)..

قال ابن تيمية في كتابه (الرد على البكري): إن الحديث ضعيف بسبب ضعف رواية محمد بن زبالة. وقول ابن تيمية غير صحيح؛ فالحديث قوى، وراويها هو الإمام الدارمي الذي مدحه ابن تيمية نفسه في (مجموع الفتاوى)، وامتدح ما أورده من دلائل النبوة، ورفعته إلى درجة البخاري، وابن تيمية يعلم أن الحديث صحيح، ولكنه ضعفه لأنه يهدم أفكاره!

٦- عن ابن مسعود ﷺ أنه كان يضرب غلامه،

فجعل يقول: (أعوذ بالله، فجعل يضربه، فقال أعوذ برسول الله) فتركه، فقال رسول الله ﷺ: (والله الله أقدر عليك منك عليه)، فأعتقه.. أخرجه الإمام مسلم.

نماذج لأحاديث تجاهلوا لأنها ضد فكرهم رغم صحتها:

١- حديث ابن حوالة ﷺ: كنا عند رسول الله ﷺ فشكونا إليه الفقر والعري وقلة الشيء، فقال النبي ﷺ: (أبشروا؛ فوالله لأننا من كثرة الشيء أخوف عليكم من قلتها).. رواه الهيثمي في (مجمع الزوائد) وقال رجاله رجال الصحيح.

٢- حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أنه شكاً إلى رسول الله ﷺ حاجته (فقره) فقال رسول الله ﷺ: (اصبر يا أبا سعيد؛ فإن الفقر إلى من يحبني أسرع من السيل من أعلى الوادي، ومن أعلى الجبل إلى أسفله).. رواه الإمام أحمد، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد): إسناده صحيح ورجالهم رجال صحيح.

٣- عن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً شكاً إلى رسول الله ﷺ فسوة قلبه، فقال (امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين) رواه أحمد والهيثمي في (مجمع الزوائد)، وهو صحيح.

٤- عن مصعب الأسلمي ﷺ قال: انطلق غلام منا فأتى النبي ﷺ فقال: (إني سألتك سؤالاً) قال: (وما هو) قال: (أسألك أن تجعلني ممن تشفع لهم يوم القيامة) قال: (من علمك هذا) أو (من ذلك على هذا) قال: (مأمرني به أحد إلا نفسي) قال: (فإنك ممن أشفع لهم يوم القيامة).. رواه الطبراني في (الكبير)، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد): رجاله رجال الصحيح.

٥- عن جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم).. رواه مسلم في صحيحه.

٦- حديث الإسراء، وفيه أن النبي ﷺ ومعه جبريل

عليه السلام شداً الرحال لزيارة نبي الله موسى عليه السلام وهو قائم يصلى فى قبره.. رواه مسلم فى صحيحه عن أنس بن مالك عليه السلام.

٧- عن أبى هريرة عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (والذى نفس أبى القاسم بيده لينزلن عيسى بن مريم إماماً مقسطاً وحكماً عادلاً، فليكسرن الصليب ويقتلن الخنزير وليصلحن ذات البين، وليذهبن الشحناء، وليعرضن المال فلا يقبله أحد، ثم لئن قام على قبرى فقال: (يا محمد) لأجيبنه).. أخرجه أبو يعلى بإسناد صحيح، وابن عساکر فى (تاريخ دمشق)، وصححه الهيئى فى (مجمع الزوائد).

٨- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس.. ألا كان مفزعكم إلى الله وإلى رسوله) قالها فى فزع بالمدينة.. أخرجه أحمد والنسائى فى (السنن) وابن حبان، وقال الهيئى فى (مجمع الزوائد): ورجاله رجال الصحيح.

٩- قالت السيدة عائشة- رضى الله عنها- لعروة: يا ابن أختى.. لقد رأيت من تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أمراً عجباً.. أخرجه الإمام أحمد وأبو يعلى.

١٠- عن أبى هريرة عليه السلام أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة).. أخرجه البخارى ومسلم. ١١- حديث حذيفة عليه السلام: قام فىنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً ما ترك شيئاً يكون فى مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه.. أخرجه البخارى عن عمر، ومسلم عن حذيفة.

١٢- حديث: (عرضت على أعمال أمتى حسنها وسيئها) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه.

١٣- حديث: (فوالله لا تسألونى عن شئ إلا أخبرتكم به ما دمت فى مقامى) فقال رجل: (من أبى يا رسول الله؟).. الحديث.. أخرجه الإمامان البخارى ومسلم.

١٤- حديث: (فيم يختصم الملاً الأعلى) وفيه (فتجلى

لى كل شئ وعرفت) وفيه (فعلمت ما بين السماء والأرض).. رواه الترمذى وقال: حسن صحيح، سألت عنه البخارى فقال: حديث حسن صحيح.

١٥- حديث ربيعة بن كعب الأسلمى رضي الله عنه قال: كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأثيتته بوضوئه وحاجته، فقال لى: (سل) فقلت: (أسألك مرافقتك فى الجنة) قال: (أو غير ذلك) قلت: (هو ذلك) قال: (فأعنى على نفسك بكثرة السجود).. رواه مسلم وأبو داود والنسائى والطبرانى.

الخاتمة

انتهت الدراسة النقدية لتوحيد السلفية، وهى دراسة رئيسة، على رسالة صغيرة مشهورة تسمى (كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد)، وهى من أقوى ما كتبه ابن عبد الوهاب، ومن أكثر ما يتفاخر به أتباعه الذين أثبتنا مخالفتهم له فى ثلاث وخمسين مسألة، وقد تبين من هذه الدراسة أن ركائز التوحيد فى مدرسة محمد ابن عبد الوهاب هى:

- ١- ادعاء عودة الأمة الإسلامية إلى الشرك.
 - ٢- أن رسول الله بعد انتقاله لا يفيد ولا ينفع ولا يضر، وانحصرت أهميته فى اتباع ما جاء به من قرآن وسنة.
 - ٣- الشفاعة ملك الله تعالى، ولا تطلب إلا منه دون سواه.
 - ٤- عدم التهاون مع المخالفين فى رأى.
 - ٥- أسلوبهم فى فهم النصوص، تميز بما يلى:
- أ- تطبيق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى

نزلت في المشركين على المسلمين.

ب- اللجوء إلى الانتقاء في الأحاديث الشريفة بما يخدم وجهتهم وآراءهم.

وقد تبين منها أن ابن عبد الوهاب غلا في التكفير غلواً ظاهراً، فنقول أخطأ وكفى، مجتنبين الغلو من خصومه وأتباعه، لأنه شرعاً لا يجوز أن نحمل ابن عبد الوهاب محملين أخطاءه الإسلام، فنزعم أن هذا التكفير قد دلت عليه النصوص الشرعية، وأنه دين الله، .. إلخ، فهذه الطريقة في تبرئة ابن عبد الوهاب وتحميل الإسلام أخطاءه فيها خيانة للدين نفسه، يجب أن يبقى الدين فوق مستوى أن نربط مصيره بمصير من نحب من العلماء أو الحكام أو غيرهم، الدين ليس حكراً على أحد، وليس هناك قراءة واحدة، ولا اتفاق على كل النصوص تصحيحاً أو فهماً، لكن من تسمى بالإسلام ولو منافقاً كاذباً، حرم دمه وماله وعرضه، وحفظت حقوقه، فكيف بمن ينتسب للإسلام صادقاً مقيماً للشعائر، مجتنباً الكبائر، ثم بعد هذا تلحقه الوهابية بالكفار نتيجة فهم دليل أو تليفق حجة، فهذا أمر خطير، له ثماره ونتائجه السيئة، وهذه التلفيقات

التكفيرية يجب أن يكون الموقف منها واضحاً في حال وزمان، فلا نغزلها اليوم لطمع، وننكثها غداً لفرع، ولنتق الله فإننا إن جاملنا في إقرارها ذهب ديننا سدى، وإن أكلنا بها اليوم أكلتنا غداً، نقول هذا نصيحة وسداداً، ما أردنا بهذا علواً في الأرض ولا فساداً، والله المطلع على النيات.